روايات مصرية للجيب

مغامرات

٤٢

قضية زعيم الثعالب

٤ × ٢

سلسلة [illegible] مثيرة للشباب

RASHID
WWW.DVD4ARAB.COM

١ ــ ابتسامة الموت ..

اجتاز العقيد (عادل محمود) بسيارته ، بوابة مبنى إدارة مباحث أمن الدولة ، وبدا عصبيًا عنيفًا فى قيادته ، وهو يوقف سيَّارته فى المكان المخصَّص لها ، ويغادرها بحركة حادة ، ويضرب بابها فى قوة ، ثم يتجه فى خطوات واسعة إلى المبنى ، ويصعد فى سُلمه شاردًا ، معقود الحاجبين ، دون أن يتبادل التحية ، أو يتوقَّف لمحادثة أى مخلوق ، حتى سمع من خلفه صوتًا صارمًا ، يقول :

ــ (عادل) .. أريد أن أتحدَّث إليك .

توقَّف (عادل) دفعة واحدة ، واستدار فى بطء ، ليواجه اللواء (يحيى) ، مدير مباحث أمن الدولة ، ويقول فى توتر :

ــ تحت أمرك ياسيِّدى .

أشار اللواء إلى مكتبه ، ودلف إليه ، فتبعه (عادل) ، ورآه يجلس خلف مكتبه ، ويشير إليه بالجلوس ، على المقعد المواجه للمكتب ، فأطاع فى هدوء ، وتطلَّع إلى اللواء (يحيى) فى صمت ، حتى قال هذا الأخير فى حدة :

ـــ ماذا حدث فى قضية (شدوان) حتى الآن ؟

صمت (عادل) لحظة ، ثم أجاب فى لهجة تحمل قبسًا من التوتر :

ـــ لقد اختفى (عصام) ، ونحن نبحث عنه .

عقد اللواء (يحيى) حاجبيه ، وقال فى لهجة تحمل من التساؤل قدرًا يفوق ماتحمله من دهشة :

ـــ اختفى ؟!

أجابه (عادل) ، وقد برز توتُّره واضحًا :

ـــ نعم .. لقد اصطحبه رجل أصلع ضخم ، فى سيارة فاخرة ، من مبنى الجريدة ، إلى مكان ما .

غمغم اللواء (يحيى) فى غضب :

ـــ مكان ما ؟!

ثم راح ينقر بأصابعه على سطح مكتبه ، ويزفر فى عمق ، قبل أن يقول فى لهجة تجمع مابين الغضب والسخط :

ـــ اسمع يا (عادل) .. إننى أعترف ، كما يعترف الجميع ، بأنك واحد من أمهر رجال الشرطة فى العالم ، وأكثرهم ذكاءً ، ولولا هذا ما صدر من أجلك قرار استثنائى ، يعيدك إلى الصفوف ، ويمنحك منصب رئيس قسم مكافحة التجسُّس ، بعد أن كنت قد تقاعدت بالفعل .. ولكنْ ..

مال فجأة ، حتى كاد صدره يلتصق بسطح مكتبه ، وضرب بكل راحته عليه ، وهو يستطرد فى غضب :

ـــ ولكنك قد تجاوزت حدودك كثيرًا هذه المرَّة .

رفع (عادل) حاجبيه ، وهتف فى لهجة تحمل الكثير من الغضب والاستنكار :

ـــ تجاوزت حدودى ؟!

هتف اللواء (يحيى) فى غضب :

ـــ نعم .. تجاوزت حدودك تمامًا .

ولوَّح بذراعيه فى حدة ، مستطردًا :

ـــ لقد كانت هذه القضية تخصّ إدارة مكافحة المخدرات ، حتى وقعوا فى ذلك الكمين ، الذى راح ضحيته عدد كبير من رجال الشرطة ، وعلى رأسهم الزميل العميد (مختار) ـــ رحمه الله ـــ والرائد (فريد) .. وعندئذ رأى المسئولون أن الأمر قد تجاوز كونه مجرَّد عملية تهريب مخدرات ، إلى خطر يتهدَّد الأمن العام ، ومن هنا تمت إحالة العملية كلها إلى مباحث أمن الدولة ، ولقد نجحت أنت فى إقناعى بإسناد المهمة إليك ، على الرغم من أنها تقع خارج نطاق تخصُّصك ، فى مكافحة التجسُّس ، وأسندتها أنت بدورك إلى ذلك الصحفى ، على الرغم من أنه ليس أحد رجالنا .. ثم ماذا كانت النتائج ؟.

قال (عادل) فى غضب :

ــ لقد كدنا نتوصل إلى شخصية الزعيم السرى، و ....

قاطعه اللواء (يحيى) فى حدَّة :

ــ وفسد كل شىء .

غمغ (عادل) فى صرامة :

ــ ولكننا لم نخسر بعد .

هبّ اللواء (يحيى) من مقعده ، وهو يهتف فى غضب :

ــ ومن سينتظر ذلك ؟

ثم أشار إلى (عادل) بسبَّابته ، مستطردًا :

ــ اسمع يا (عادل) .. لقد أصبحت هذه القضية مليئة بالتعقيدات والثغرات ، حتى أن أحدًا لم يعد يحتملها ؛ لذا فقد وجب أن أنقلها إلى يد أخرى .

هتف (عادل) فى حنق واستنكار :

ــ سيِّدى !!

قاطعه اللواء (يحيى) بإشارة من يده ، واستطرد فى حزم :

ــ ولكننى لن أفعل هذا مباشرةً .

عقد (عادل) حاجبيه ، وهو يتطلَّع إليه فى حَيْرَة وتساؤل ، فأردف :

ــ سأمنحك يومًا واحدًا .. أربعًا وعشرين ساعة ، وبعدها سأعتبر القضية فاشلة ، وسأسلِّمها لغيرك .

قال (عادل) فى حدة :

ــ إنها مهلة قصيرة للغاية يا سيِّدى ، فالمفروض أن ..

عاد اللواء يقاطعه فى حزم وصرامة :

ــ أربع وعشرون ساعة فحسب يا (عادل) .

انعقد حاجبا (عادل) فى قوة وغضب ، وصمت لحظات ، تطلَّع خلالها إلى وجه رئيسه فى حدَّة ، قبل أن يقول فى حَنَق :

ــ كما تشاء يا سيِّدى .

وغادر المكان إلى مكتبه ، وشياطين الغضب تتقافز فى رأسه ، حتى استقرَّ خلف مكتبه ، فزفر زفرة التهبت لها أعماقه وحواسه ، قبل أن يقول فى حدة :

ــ أربع وعشرون ساعة !!.. إنها لا تكفى حتى لإلقاء القبض على نشال تافه متلبسًا .

وعاد يزفر مرة أخرى فى عمق ، قبل أن يهتف :

ــ آه لو أعلم أين أنت يا (عصام) .. أين بالله عليك ؟.. أين ؟!..

* * *

بدأ كل ذلك منذ مايزيد قليلًا عن الشهر ، عندما طلب رئيس التحرير من (عصام) ، الانضمام إلى حملة ، من حملات إدارة مكافحة المخدرات ، لضبط عملية تهريب كبرى ، فى جزيرة (شدوان) ..

وبصحبة الرائد (فريد عثمان) ، انطلق (عصام) إلى (شدوان) ؛ لتغطية الحملة ، والحصول على سبق صحفى جديد ..

ولكن مهربى المخدرات كانوا أكثر ذكاءً ..

وأكثر شراسة ..

لقد رأى رجال الشرطة مركب الصيد ، الذى أبلغهم عميلهم أنه يحوى شحنة المخدرات ، وهاجموه طبقًا للخُطة ، ولكن ..

كان ذلك فخًا ..

لقد انفجر مركب الصيد ..

وتحول كل شىء إلى جحيم ..

وأشلاء ..

ودماء ..

ولم ينج من المذبحة سوى (عصام) ، وعشرة من رجال الشرطة ..

ثم بدأ جحيم من نوع آخر ..

رصاصات كالمطر ، انهمرت على (عصام) ، ورجال الشرطة العشرة ، فلقى الجميع مصرعهم ، وتمّ إنقاذ (عصام) بمعجزة ، من تلك المذبحة ..

وقرّر (عصام) أن يتصدّى لتلك المنظمة الإجرامية ، وبمعاونة (عادل محمود) ، أمكنه أن يتسلّل إلى صفوف المنظمة ، من طريق رجلها الثانى (هاشم مندور) ، باعتبار أنه صحفى مدمن للهيروين ، مستعد لعمل أى شىء ، فى مقابل الحصول عليه ..

وحصل (عصام) على ثقة المنظمة ، وزعيمها الغامض المخيف ..

وأضيفت معلومة جديدة ..

إن الزعيم الغامض هو أحد المقيمين فى الطابق الثالث ، من فندق (شيراتون) الجزيرة ..

ولم يكن بالطابق سوى رجلين ..

الملحن المعروف (بديع فتحى) ..

والملياردير (حامد منصور) ..

وبمعاونة (فؤاد رشدى) ، مسئول الأمن بالفندق ، تمت مراقبة (هاشم) والرجلين ..

وأدرك الزعيم المجهول أن (هاشم) قد صار ورقة محترقة ، فما كان منه إلا أن أزاحه عن طريقه ، وقتله ..

وألقى رجال الشرطة القبض على الملياردير (حامد منصور) ، الذى كان الوحيد الذى دخل إلى جناح (هاشم) ، قبل العثور عليه صريعًا ..

ولكن محامى الملياردير (برهان شريف) ، أمكنه إخراجه بكفالة ، وقرَّر الملياردير أنه من الضرورى إنهاء الموقف ، عن طريق شخص واحد ..

(عصام كامل) ..

وفى الصباح التالى ، فوجئ (عصام) بقائد مذبحة (شدوان) ، المدعو (صفوان) ، يزوره فى مكتبه بالجريدة ، ويصحبه معه إلى سيارة فاخرة ، انطلقت بهما على الفور ، نحو مدينة (الغردقة) ..

لقد أصبح (صفوان) هو الرجل الثانى فى المنظمة ..

ومن (الغردقة) ، انطلق (صفوان) مع (عصام) ، فى زورق خاص ، نحو جزيرة (شدوان) ، وفى منتصف الطريق بدأت المفاجآت ..

لقد توقَّف الزورق ، وانتقلا منه إلى غواصة خاصة ، حملتهما إلى قاعة رهيبة ، فى قلب الجزيرة ، تحوى مزرعة صناعية لنبات (الخشخاش) ، الذى يُستخرج منه الهيروين والكوكايين والمورفين ، ومعامل ضخمة هائلة ، لاستخراج كل هذا ..

وفجأة تذكَّر (صفوان) أين رأى (عصام) لأوَّل مرة .. لقد رآه فى المذبحة ..

وارتفع مسدَّس (صفوان) السفاح فى وجه (عصام) ، وأطلّ من عينيه بريق الموت ، الذى ابتسم فى سخرية ، قبل أن ينتزع روح ضحيته ..

روح (عصام)(*) ..

★ ★ ★

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزء الأوَّل (قضية جزيرة الأشرار) .. المغامر رقم (٤١)

٢ ــ بين يدى شيطان ..

امتقع وجه (عصام) ، وراح قلبه يخفق فى عُنف ، وكأنما يُلقى آخر نبضاته ، قبل أن يتوقَّف من شدة الخوف المرضى ، الذى يعاوده كلَّما واجه (صفوان) ..

ومرَّة أخرى ، استعاد ذهنه أحداث المذبحة ..

الانفجار ..

أشلاء الضحايا ..

بحيرة الدمار ..

آلام رصاصتى معدته وساقه ..

رُعب هائل اجتاح نفسه ، وحبس الكلمات فى حلقة ، وهو يتطلَّع إلى وجه (صفوان) وعينيه الشرستين ، وهذا الأخير يقول فى عُنف ووحشية :

ــ إنك لم تمت فى المرَّة السابقة .. إذن فقد رأيت وجهى .. أيَّة خدعة ترسم ؟ وأيَّة لُعبة تمارس ؟

تراجع (عصام) فى رُعب ، دون أن يجرؤ على التفوُّه بحرف واحد ، و (صفوان) يستطرد فى عُنف :

ــ أجب .. ما الذى تحاوله بالضبط ؟

بذل (عصام) جهدًا هائلًا ، ليغمغم فى صوت مختنق :

ــ لا شىء يا سيِّد (صفوان) .. إننى مخلص لكم .. أقسم لك .

جذب (صفوان) إبرة مسدسه ، وهو يقول فى شراسة :

ــ يا لك من مخادع !! الموت هو جزاؤك إذن .

وضغط زناد مسدسه فى حزم ..

* * *

كان من المستحيل أن يقاوم (عصام) هذه المرة ..

كان الرعب يملأ نفسه فى شدة ، حتى لقد تحوَّل إلى تمثال من الحجر ، ينتظر أن تهوى فوقه مطرقة ، فتحوِّله إلى فتات ..

لقد أصابه (صفوان) برُعب نفسى مَرَضِىّ ..

رُعب ينتزع منه كل أمل ، وكل قدرة على المقاومة ..

وفجأة جاء الإنقاذ من بعيد ..

جاء على هيئة صوت صارم ، دوى فى المكان ، عَبْرَ مجموعة من مكبرات ومضخمات الصوت ، وهو يقول :

ــ قف يا (صفوان) ..

وفجأة تحوَّل الليث الغاضب إلى أرنب رعديد ..

لقد شَحُب وجه (صفوان) ، وتجمَّدت سبَّابته على الزنَّاد ، قبل أن يُكمل ضغطته عليه ، أو قبل أن تصل الضغطة إلى الحد الكافى لتحرير إبرة المسدس ، التى تضرب كبسولة الإطلاق ، فى مؤخرة الرصاصة ، فتُشعل البارود ، وتُطلق المقذوف ..

لذا فلم يشتعل البارود ..

ولم تنطلق الرصاصة ..

وعاد الصوت يُدَوِّى ، على نحو مخيف :

ــ أحضره إلى هنا .

خفض (صفوان) مسدسه فى استسلام ، وقال لـ (عصام) فى صرامة :

ــ سِر أمامى .

لم يصدِّق (عصام) نفسه ..

لم يصدِّق أنه قد نجا ..

وفى استسلام ، سار أمام (صفوان) ، عبر ممر طويل ، أوصلهما إلى حجرة خالية تمامًا ، إلا من آلة تصوير تليفزيونية ، استدارت على نحو آلى ، وتوجَّهت نحو وجه (عصام) ، الذى أدرك على الفور أنه هناك من يوجِّهها من حجرة أخرى ، قبل أن يسمع نفس الصوت الصارم يقول :

أوصلهما إلى حجرة خالية تمامًا ، إلا من آلة تصوير تليفزيونية ، استدارت على نحو آلى ، وتوجَّهت نحو وجه (عصام) ..

ـــ أحقًا ما يقوله (صفوان) ؟

حاول (عصام) جاهدًا أن يميِّز الصوت ، إلا أنه كان من الواضح أن صاحبه يستخدم جهازًا خاصًا ، ليبدِّل نبرات صوته تمامًا ..

ووجد (عصام) أنه من غير المُجدى أن ينفى الواقعة ، بعد أن تعرَّفه (صفوان) ، فازدرد لُعابه فى صعوبة ، وغمغم فى ارتباك :

ـــ نعم .. هذا صحيح .

زمجر (صفوان) فى شراسة ، وهو يقول :

ـــ أرأيت أيها الزعيم ؟.. لابدَّ من قتله .

هتف الزعيم فى صرامة :

ـــ صَهْ .. لا تصدر الأوامر أبدًا فى وجودى .

شَحُب وجه (صفوان) ، وهو يغمغم :

ـــ معذرة أيها الزعيم .. معذرة .

شعر (عصام) بالدهشة ، إزاء سيطرة الزعيم الرهيبة على رجاله ، إلى الحد الذى يجعل سفَّاحًا مثل (صفوان) يرتجف أمامه ، ومما جعله هو أيضًا يرتجف ، عندما سأله الزعيم فى برُود :

ـــ بم تفسِّر ذلك يا أستاذ (عصام) ؟

غمغم فى خوف :

ـــ أفسِّر ماذا ؟

أتاه صوت الزعيم صارمًا :

ـــ موقفك هذا .

ازدرد (عصام) لعابه فى ألم ، وغمغم :

ـــ لقد خرجت مع تلك الحملة ، لتصوير ما سيحدث ، ثم أصابتنى رصاصتان ، وكدت ألقى حتفى مع الآخرين ، ولكننى نجوت بأعجوبة ، وكانت الآلام رهيبة ، بعد العملية الجراحية ، فبدأت أتناول المخدرات ، و ....

قاطعه الزعيم فى حزم :

ـــ إننى أعلم الباقى .

ران بعدها صمت رهيب ، استغرق ما يقرب من دقيقتين كاملتين ، قبل أن يزمجر (صفوان) قائلًا :

ـــ أنقتله أيها الزعيم ؟

لم يجب الزعيم لحظات ، تجمَّدت لها الدماء فى عروق (عصام) ، وفقد خلالها (صفوان) أعصابه ، فقال فى توتر :

ـــ ما قولك يا زعيمى ؟

أتى صوت الزعيم باردًا كالثلج ، وهو يقول :

ـــ كلَّا يا (صفوان) .. لن تقتله .

زفر (عصام) فى ارتياح ، وبصوت مرتفع ، مما جعل (صفوان) يعقد حاجبيه ، ويغمغم فى سخط :

ـــ كما تأمر أيها الزعيم .

أضاف الزعيم فى برود :

ـــ لقد شككت فى أمرك فى البداية يا (عصام) ، فأنا أعلم أن تاريخك يحوى عشرات الدلائل ، على أنك من محاربى الجريمة ، ولكننى أعلم فى الوقت ذاته أن مدمن الهيروين لا يتورَّع عن أى عمل ، مقابل الحصول على احتياجاته من المخدِّر ؛ لذا فقد اختبرتك ، وجعلت (هاشم) يُبلغك بأمر صفقة مزيَّفة ، وأرسلت (صفوان) إلى هنا ؛ لمراقبة الموقف ، ولقد أكَّد أن أحدًا من رجال الشرطة لم يطأ الجزيرة ، فى ذلك الموعد ، وهى نقطة فى صالحك ؛ إذ تعنى أنك لم تبلغهم بما عرفت .

غمغم (عصام) :

ـــ ولن أفعل .

أجابه الزعيم فى برود :

ـــ أعلم ذلك ؛ لأنك لو فعلت .. فسنقتلك .

امتقع وجه (عصام) فى شدة ، على حين ابتسم (صفوان) فى شراسة ، وقال فى تلذّذ :

ـــ نعم .. سنقتلك .

مرة أخرى ساد صمت رهيب ، قطعه الزعيم قائلًا :

ـــ من الآن أنت أحد رجالى يا (عصام) ، وستكون عيننا ، فى إدارة مكافحة المخدرات ، وستنقل إلينا كل تحرُّكاتهم ، خطوة خُطْوَة .

غمغم (عصام) فى لهفة :

ـــ سأفعل .

ساد الصمت لحظة ، ثم قال الزعيم فى حزم :

ـــ اذهبا .

غادر الاثنان الحجرة فى صمت ، وقطعا الممر الطويل مرة أخرى ، وما إن بلغا المعمل ، حتى التفت (صفوان) إلى (عصام) ، وقال فى صرامة مخيفة :

ـــ هل سمعت ؟.. لو راودنا أدنى شك فى أمرك .. فسأقتلك .

أومأ (عصام) برأسه إيجابًا فى هدوء ، وواتته الشجاعة ليغمغم :

ـ متى نعود إلى (الغردقة) ؟

أجابه (صفوان) فى برود :

ـ بعد أن يغادر الزعيم الجزيرة .

غمغم (عصام) فى اهتمام :

ـ أيقيم هناك ؟

أجابه فى صرامة :

ـ ليس هذا من شأنك .

شحب وجه (عصام) ، وهو يغمغم :

ـ بالطبع .

شملهما صمت تام ، حتى صعدت الغوّاصة الصغيرة إلى السطح ، فقال (صفوان) فى حزم :

ـ هيا بنا .

حملتهما الغوّاصة الصغيرة إلى الزورق ، الذى أقلّهما إلى (الغردقة) ، ولم يكد (عصام) يغادر زورق الصيد ، حتى خفق قلبه فى عنف ، وتسمّرت عيناه على سيارة سوداء فاخرة ، يحفظها عن ظهر قلب ..

سيارة يعرف صاحبها جيّدًا ..

سيارة الملياردير (حامد منصور) ..

* * *

٣ ـ لعبة الزعيم ..

عقد (عادل محمود) حاجبيه فى اهتمام ، وهو يستمع إلى تلك المعلومات ، التى ينقلها إليه الشرطى السرى ، الذى كلّفه مراقبة (حامد منصور) ، ثم لم يلبث أن قال فى توتر :

ـ إنها معلومات بالغة الأهميـــة يا (جمال) .. لو أن (حامد) قد سافر فجأة إلى (الغردقة) ، فهذا قد يعنى أن (عصام) هناك .

قال الشرطى السرى (جمال) :

ـ ربّما يا سيّدى .. لو أن (حامد منصور) هو الزعيم الغامض .

لوّح (عادل) بكفه ، وهو يقول فى حزم :

ـ إنه هو بلا شك ، فلقد سجّلنا محادثة (هاشم) ، قبل أن يلتقى بزعيم الثعالب ، وهو فى المحادثة الأولى لم يحدّد موعدًا للقاء ، وهذا يعنى أن الزعيم يقيم هناك على نحو دائم ، ولا يوجد بذلك الطابق ، الذى التقى فيه (هاشم) بالزعيم ، سوى بعض

الأجانب ، وعدد من الحجرات الخالية ، والملحن الشهير (بديع فتحى) ، والملياردير (حامد منصور) ، و (بديع) يقيم هناك بصفة مؤقتة ، كعادته كلما انهمك فى إعداد لحن جديد ، أما (حامد) ، فيقيم هناك بصفة دائمة ، وهذا يعنى أنه الزعيم ..

صمت لحظة ، ثم أضاف فى اهتمام :

ــ ثم إن (بديع فتحى) لم يكن فى الفندق كله ، عندما قُتِلَ (هاشم) ، على حين كان (حامد) فى حجرة هذا الأخير شخصيًا .

هزَّ (جمال) رأسه فى حَيْرَة ، وغمغم :

ــ عجبًا !!.. هذا لا يتفق مع أداء رجل غايةً فى الذكاء ، مثل زعيم الثعالب هذا .

صمت (عادل) ، وانعقد حاجباه فى تفكير عميق ، بدا وكأنه يرهق ذهنه المتوتِّر ، قبل أن يلوِّح بذراعه ، هاتفًا فى حدة :

ــ فليذهب الزعيم إلى الجحيم .. المهم أن نجد (عصام) .

ثم مال نحو (جمال) ، مستطردًا فى حزم :

ــ انطلق على الفور إلى (الغردقة) يا (جمال) ، وراقب (حامدً) هذا ، وأبلغنى بأى تطور يحدث ، خاصةً لو رأيت (عصام) .. هل تفهمنى ؟..

كل ما أريده الآن هو (عصام) .. (عصام) ..

* * *

« أستاذ (عصام) ؟!.. مرحبًا .. أين أنت يا رجل ؟ » .

هتف (برهان شريف) بهذه العبارة فى لهفة ، عندما وقع بصره على (عصام) ، بصحبة (صفوان) ، واندفع نحوهما يصافح (عصام) فى حرارة ، مستطردًا :

ــ الأستاذ (حامد) يبحث عنك منذ يومين ، ولقد أصرَّ على أن نأتى خلفك إلى (الغردقة) .

غمغم (عصام) فى حَيْرَة :

ــ وكيف علمتما أننى هنا ، فى (الغردقة) ؟

أجابه (برهان) فى حماس :

ــ لقد أخبرنا صديقك .

غمغم (عصام) فى دهشة :

ــ صديقى ؟!

هتف (برهان) :

ـــ نعم .. صديقك الذى يقيم معك ، فى منزلك .

وقبل أن يهتف (عصام) ، متسائلًا فى دهشة ، عمن يكون هذا الصديق ، التفت (برهان) إلى (صفوان) ، وصافحه قائلًا :

ـــ أظنك أحد أصدقاء الأستاذ (عصام) .. ما رأيك فيه؟.. إنه شاب رائع .. أليس كذلك ؟

أجابه (صفوان) فى برود :

ـــ هو كذلك .

ثم التفت إلى (عصام) ، قائلًا فى صرامة :

ـــ سأنتظرك فى ذلك الكازينو هناك .

وابتعد فى خطوات سريعة قوية ، وتابعه (برهان) بنظره فى دهشة ، قبل أن يلتفت مرة أخرى إلى (عصام) ، ويغمغم :

ـــ حاد جدًا صديقك هذا .. أليس كذلك ؟

أجابه (عصام) فى اقتضاب :

ـــ بلى .

ثم استطرد فى اهتمام :

ـــ أين الأستاذ (حامد)؟.. ولماذا جئتما خلفى إلى هنا ؟ ، ومن هو هذا الصديق الذى...؟

قاطعه (برهان) ضاحكًا :

ـــ رُوَيْدك يا صديقى .. ألقِ ما تشاء من أسئلة ، على الأستاذ (حامد) ، فهو وحده يعلم كل شىء .

وتأبَّط ذراعه ، ليقوده معه ، مستطردًا :

ـــ إنه ينتظرك فى ڤيلته .

هتف (عصام) فى دهشة :

ـــ أيمتلك ڤيلا هنا ؟

أجابه (برهان) :

ـــ بالطبع .. ألم تكن تعلم ذلك ؟!

عقد (عصام)حاجبيه ، وهو يقول فى حدَّة :

ـــ يبدو أنه هناك الكثير ، مما لا أعلمه عن (حامد) بك .. الكثير جدًا .

لم يفهم (برهان) مغزى عبارته ، إلا أنه لاذ بالصمت ، حتى بلغا ڤيلا (حامد منصور) ، على بعد أمتار قليلة من الشاطئ ، واستقبلهما هذا الأخير فى حرارة ، هاتفًا :

ـــ أين أنت يا (عصام) ؟!.. إننى أتصل بك منذ يومين .

أجابه (عصام) فى توتر :

ـــ عجبًا !!.. كنت أظنك خير من يعلم أين أنا .

ارتفع حاجبا (حامد) فى دهشة ، وهو يهتف .

ـــ أنا ؟!.. وكيف لى أن أعلم ؟

تنهَّد (عصام) ، وقال :

ـــ دَعنا من ذلك ، وأخبرنى .. لماذا كنت تبحث عنِّى ؟

عقد (حامد) حاجبيه ، وقال :

ـــ إننى أحتاج إلى عبقريتك البوليسية .

سأله (عصام) فى دهشة :

ـــ كيف ؟

لوَّح بكفِّه ، قائلًا :

ـــ إننى متهم بجريمة قتل يا (عصام) .

غمغم (عصام) فى تلقائية :

ـــ جريمة قتل ؟!

أجابه (حامد) فى عصبيَّة :

ـــ أجل .. جريمة لم أرتكبها .

ردَّد (عصام) بنفس التلقائية :

ـــ لم ترتكبها ؟!

هتف (حامد) فى غضب :

ـــ ماذا أصابك يا (عصام) ؟.. ألا تصدِّقنى ؟

مضت لحظة من الصمت ، استعاد (عصام) طبيعته بغتة ، واعتدل قائلًا فى هدوء :

ـــ أصدِّق ماذا يا (حامد) بك ؟.. إنك لم تخبرنى شيئًا حتى الآن .

عقد (حامد) حاجبيه فى ضيق ، ومطَّ شفتيه فى استنكار ، ثم لم يلبث أن زفر فى قوة ، وجلس أمام (عصام) ، متمتمًا :

ـــ أنت على حقّ .. إنك لم تسمع شيئًا بعد .

ومال نحوه ، مستطردًا فى اهتمام :

ـــ لقد بدأ الأمر بداية عجيبة ، فقد أخبرنى (فؤاد رشدى) ، مسئول الأمن فى الفندق ، أن أحد رجال الشرطة السريين يتحرَّى عنى ، ولما كنت رجلًا قانونيًّا .. أعنِى أننى أتبع القانون ، فى كل خطواتى ، فقد أدهشنى ذلك وأقلقنى فى شدة ، وجعلنى أبحث عنك ، لتسأل أصدقاءك من رجال الشرطة عمّا يعنيه ذلك ، ولكننى فشلت فى العثور عليك تمامًا .

صمت لحظة ، بدا واضحًا أنه يلتقط أنفاسه خلالها ، قبل أن يردف :

ـــ وفى اليوم التالى اتصل بى شخص ما ، وأخبرنى أنه يعلم سر مراقبة رجال الشرطة لى ، وطلب منى أن أذهب إليه فى حجرته ؛ ليخبرنى بالسر ، فلم يكن منى إلا أن هرعت إليه ، و ...

بتر عبارته ، وازدرد لعابه على نحو مسموع ، قبل أن يتابع فى توتُّر :

ـــ ووجدته قتيلًا .

ضاقت حَدَقتا (عصام) ، وهو يغمغم فى اهتمام :

ـــ هكذا ؟!..

لوَّح (حامد) بذراعه كلها فى عصبية ، وهو يقول :

ـــ نعم .. هكذا .. ولقد اتهمنى رجال الشرطة بقتله ، بحجة أننى الوحيد الذى دخل حجرته ، ولكن النافذة كانت مفتوحة ، وإطارها الخارجى واسعًا ، و ...

قاطعه (عصام) ، وهو ينهض ، قائلًا .

ـــ حسنًا يا (حامد) بك .. سأتحرَّى الأمر ، فور عودتى إلى (القاهرة) .

عقد (حامد) حاجبيه ، وقال فى حدَّة :

ـــ ماذا أصابك ؟.. أتشكّ فى كَوْنِى الفاعل ؟

التفت إليه (عصام) ، وتأمَّل فى ملامحه لحظة ، ثم قال فى هدوء :

ـــ مطلقًا .

وغادر المكان ، دون أن يضيف حرفًا واحدًا ، تاركًا (حامد) و (برهان) فى لجة من الحيرة ، وقطع الطريق فى خطوات سريعة ، نحو الكازينو ، الذى ينتظره فيه (صفوان) ، وقبل أن يبلغه ، تسمَّرت قدماه مرة أخرى ، واتسعت عيناه فى دهشة ، وهو يحدِّق فى وجه الرجل ، الذى يجلس حول مائدة واحدة مع (صفوان) ، ويتحدّث إليه فى اهتمام وجدية بالغين ..

لقد كان آخر رجل يتوقَّع (عصام) رؤيته فى (الغردقة) ..

كان (بديع فتحى) .. الملحن المعروف ..

أو الزعيم ..

زعيم الثعالب ..

* * *

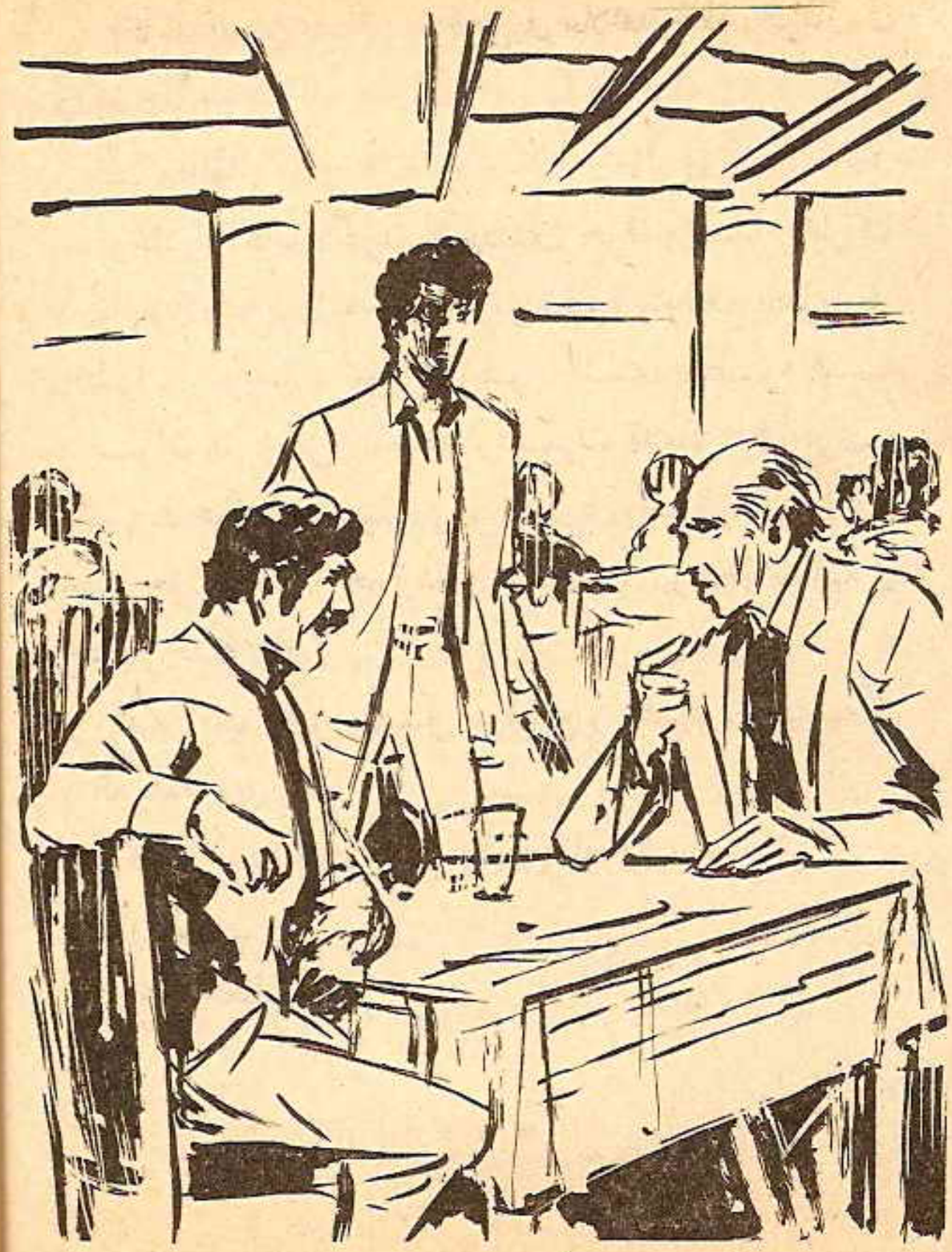

لقد كان آخر رجل يتوقّع (عصام) رؤيته فى (الغردقة) ..

٤ ــ صراع الثعالب ..

انطلقت سيارة (صفوان) الفاخرة ، تقطع الطريق إلى (القاهرة) ، بعد منتصف الليل بقليل ، وبداخلها هو و (عصام) ، وقد خيّم عليهما الصمت التام ، حتى باتت السيارة على مشارف (القاهرة) ، فقال (صفوان) فى برود :

ــ انتظر أوامرى فى أية لحظة .

سأله (عصام) ، دون أن يلتفت إليه :

ــ أية أوامر ؟

التفت إليه (صفوان) ، وقال فى خشونة :

ــ اسمع يا فتى .. إننى أكره من يتحزلقون ، ومن يظنون أنهم أرفع قدرًا من أن أخاطبهم ، وأن ألقى إليهم أوامرى ، وأنت منذ اليوم تعمل لحسابنا ، وهذا يعنى طاعتك للأوامر بلا مناقشة .

أراد (عصام) أن يعترض ، ويعاند ، إلا أن ذلك الخوف

المرضى ، الذى يشعر به تجاه (صفوان) ، قد ألجم لسانه ، فلاذ بالصمت ، وامتقع وجهه على نحو شديد ، أخفته ظلمة الليل لحسن الحظ ، وإن شعر به (صفوان) بغريزته الوحشية ، فاعتدل فى غطرسة ، مستطردًا :

ــ صحيح أن مهمتك تنحصر فى نقل أسرار وتحرّكات شرطة مكافحة المخدرات إلينا ، ولكن هذا لا يعنى أنك تعمل منفصلًا ، فمن الضرورى أن تبقى دَوْمًا مستعدًا لتلقّى أيّة أوامر ، وتنفيذها بلا اعتراض .. مفهوم .

غمغم (عصام) فى صعوبة :

ــ مفهوم .

وبعدها لاذ كلاهما بالصمت ، والسيارة تدلف إلى شوارع (القاهرة) ، وينطلق بها سائقها صوب منزل (عصام) ، الذى عاد يقطع الصمت ، مغمغمًا فى توتر :

ــ هل لى أن ألقى سؤالًا واحدًا ؟

لم يجب (صفوان) ، ولم يلتفت حتى إليه ، فاستطرد فى خفوت :

ــ لماذا ذهبت بى إلى ذلك المعمل ؟

أجابه (صفوان) فى لهجة شرسة :

ــ كان المفروض أن تصبح أحد القادة ، ولكننى تعرّفتك ، فتبدّلت كل الأمور .

غمغم (عصام) :

ــ ولكننى شرحت لكم الأمر ، و ...

قاطعه (صفوان) فى شراسة :

ــ ينبغى أن تصلّى شاكرًا ؛ لأن الأمر قد اقتصر على ذلك ، فلقد ثارت شكوكنا فى أمرك ، وعلى الرغم من ذلك ، فقد بقيت على قيد الحياة ، وهذا لا يحدث عادةً .

شحب وجه (عصام) ، على حين اعتدل (صفوان) ، مستطردًا فى لهجة يقطر منها الحقد :

ــ صدّقنى ، أنت محظوظ بحقّ .

كان هذا يكفى ، ليلزم (عصام) الصمت التام ، حتى توقّفت السيارة أمام منزله ، فغادرها ، ووقف ساكنًا ، حتى انطلقت مبتعدة ، دون أن يتبادل معه (صفوان) كلمة واحدة .

وتنفس (عصام)الصُّعَداء ، وكأنما انزاح عن ظهره حمل ثقيل ، وأسرع يصعد إلى شقته ، ودلف إليها فى لهفة ، وأوقد نور الردهة ، ولم يكد يفعل ، حتى سمع صوتًا هادئًا ، يقول :

ـــ مرحبًا .. إننى أنتظرك منذ فترة طويلة .

انتفض جسد (عصام) ، واستدار إلى مصدر الصوت فى توتر ، ثم لم يلبث أن زفر فى ارتياح ، وهتف :

ـــ (عادل) .. كم تسعدنى رؤيتك .

ابتسم (عادل) ابتسامة باهتة ، وقال :

ـــ وأنا أيضًا يا (عصام) .. لقد كان من الضرورى أن ألتقى بك الليلة ، بعد أن علمت أنك بخير فى الغردقة .

هتف (عصام) فى دهشة :

ـــ كيف عرفت ؟

ابتسم (عادل) نفس الابتسامة الشاحبة ، وهو يغمغم :

ـــ إن لنا وسائلنا .

ثم تلاشت ابتسامته ، وحلّت محلّها جدّية شديدة ، وهو يستطرد :

ـــ والآن أريد أن تقصّ علىّ بالتفصيل كل ما حدث ، منذ غادرت مبنى الجريدة ، وحتى هذه اللحظة .

وحمل صوته نبرة صارمة حازمة ، وهو يستطرد :

ـــ كل شىء .

* * *

استغرقت رواية (عصام) للأحداث نصف ساعة كاملة ، و (عادل) يتابعه فى انفعال شديد ، وخاصّة عندما أخذ

يروى أمر ذلك الوكر الخرافى الهائل ، فى قلب جزيرة (شدوان) ، حيث اتسعت عينا (عادل) فى ذهول ، إلا أنه لم يقاطعه بحرف واحد ، حتى انتهى (عصام) من قصته ، فهتف (عادل) ، بكل ما يعتمل فى نفسه من انفعالات :

ـــ قنبلة يا (عصام) .. إنك تفجّر قنبلة هائلة .. إن أحدًا فى (مصر) ، أو حتى فى العالم كله ، لا يتوقع كل هذا .

وقلب كفيه ، وهو يردّد فى ذهول :

ـــ مزرعة ضخمة ، ومعمل هائل ، فى قلب الجزيرة ؟!.. كيف صنع هؤلاء الأوغاد كل هذا ؟.. كيف ؟

غمغم (عصام) :

ـــ أظنه قد تكلّف مبلغًا هائلًا .

هتف (عادل) :

ـــ بالتأكيد .. عدة ملايين على الأقل .. إنه أمر يحتاج إلى ملياردير .

وانعقد حاجباه ، وهو يستطرد فى غضب :

ـــ ملياردير مثل (حامد منصور) .

عقد (عصام) حاجبيه بدوره ، وغمغم :

ـــ أما زلت تصرُّ على أنه الزعيم الغامض ؟

التفت إليه (عادل) ، وهو يقول فى حزم :

ـــ ما رأيك أنت ؟ .. ألم تسمع صوته ؟

قال (عصام) فى صرامة :

ـــ قلت لك إن الصوت كان متغيرًا ، ثم إنه هناك وجه آخر ظهر فى الصورة .

قال (عادل) :

ـــ أتقصد (بديع فتحى) ؟

أجابه (عصام) فى حزم :

ـــ نعم .. أقصده .. بل أعتبره المشتبه فيه رقم واحد ، ما لم يبرِّر ذهابه إلى (الغردقة) ، ومقابلته لـ (صفوان) .

نهض (عادل) ، وسار فى أنحاء الردهة قليلًا ، ثم التفت إلى (عصام) ، يسأله بغتة :

ـــ ألم تقم بتصوير المعمل ، أو تسجيل صوت الزعيم ؟

هزّ (عصام) رأسه نفيًا ، وغمغم فى خجل :

ـــ كلَّا .. لقد كنت نهبة للذهول ، و ... والفزع .

مطَّ (عادل) شفتيه فى ضيق ، وقال :

ـــ أما زلت تخشى ذلك الوغد (صفوان) ، إلى هذا الحد ؟

أطرق (عصام) برأسه ، مغمغمًا :

ـــ إننى أحاول التغلّب على ذلك .

تنهَّد (عادل) ، وهزّ رأسه فى أسف ، ثم قال :

ـــ حسنًا .. لن أستبعد (بديع فتحى) من دائرة الاشتباه .. ولكن الأمر قد صار أخطر مما نتصوَّر .. أو أنه كذلك منذ البداية ، ولكننا لم ننتبه إليه ، أما الآن فعلينا أن نبدِّل كل خططنا ، وكل ترتيباتنا .

ثم وضع يده على كتف (عصام) ، مستطردًا فى حزم :

ـــ وسنبذل أقصى جهدنا ؛ للإيقاع بزعيم الثعالب هذا ، فى أقرب وقت .

سأله (عصام) فى توتُّر :

ـــ أليس من الأفضل أن نهاجم وكر الشياطين هذا ، ونسفه على رءوس الجميع ؟

هزَّ (عادل) رأسه نفيًا ، وقال :

ـــ ليس الآن .. يا (عصام) ، فمن يدرى كم وكرًا آخر يديره ذلك الثعلب الأكبر ؟

وصمت لحظة ، ثم استطرد فى حزم :

ـــ وهذا يتوقَّف على رأى الرؤساء ..

غمغم (عصام) :

ـــ أراهنك أنهم سيهاجمون الوكر فورًا ، حتى ولو ضحوا بكشف شخصية الزعيم الغامض .

عقد (عادل) حاجبيه ، وهو يقول :

ـ أتظن ذلك ؟!

أجابه (عصام) :

ـ بالتأكيد ، فوجود مثل هذا الوكر ، فى قلب جزيرة (شدوان) ، وأسفل قاعدة عسكرية كبرى ، يعدّ تهديدًا لسيادة الدولة ، وسيطرتها على أراضيها ، ولن يسكت المسئولون عن ذلك أبدًا .

قال (عادل) فى غضب :

ـ ولكننى لن أسمح لذلك الزعيم الثعلب بالفرار أبدًا .

كرّر (عصام) عبارته فى خفوت :

ـ هذا يتوقّف على رأى الرؤساء .

قال (عادل) فى حدة :

ـ هناك وسيلة لضمان حيادهم .

ثم التفت إلى (عصام) ، مستطردًا فى حزم :

ـ ألّا يعلم سوانا بما رأيته فى (شدوان) .. حتى نوقع بالزعيم على الأقل .

وانعقد حاجباه فى صرامة غاضبة ، وهو يردف :

ـ وسيعنى هذا أن نبدأ الصراع فى سرعة .. صراع الثعالب ..

* * *

ثم التفت إلى (عصام) ، مستطردًا فى حزم :

ـ ألّا يعلم سوانا بما رأيته فى (شدوان) .. حتى نوقع بالزعيم ..

٥ ــ من الزعيم ؟ ..

هزَّ اللواء (يحيى) رأسه نفيًا ، فى حزم وصرامة ، وقال فى حدة :

ــ كلَّا يا (عادل) .. لن أمدّ المهلة يومًا واحدًا .. ستضيف جديدًا قبيل غروب الشمس ، أو تعتبر تلك القضية منتهية .

قال (عادل) فى حدة :

ــ ولكن هذا يبدو أشبه بتعنت روتينى يا سيِّدى ، فلقد توصَّلت إلى معلومات بالغة الخطورة ، ولابدَّ لى من مواصلة بحث القضية .

هتف اللواء (يحيى) فى غضب :

ــ ولكنك ترفض الإدلاء بتلك المعلومات .

عقد (عادل) حاجبيه ، وأشاح بوجهه ، قائلًا :

ــ إن لدى أسبابى .

ضرب اللواء (يحيى) سطح مكتبه بقبضته فى غضب ، وهو يقول :

ــ أين تظن أنك تعمل يا (عادل) ؟!.. فى إدارة بوليسية قطاع خاص ؟!.. إنك أحد رجال إدارتى ، وتتبع قانونًا نتبعه كلنا ، وليس من حقك إخفاء ما لديك من معلومات عن رؤسائك .

غمغم (عادل) فى ضيق :

ــ لدى أسباب تحتم أن ....

قاطعه رئيسه فى حزم :

ــ هذا شأنك ، ولكن لاتطالبنى بمد المهلة ، من أجل أسبابك الخاصة .

وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يستطرد فى صرامة :

ــ أمامك حتى الغروب يا (عادل) .. فقط حتى الغروب .

بقى (عادل) صامتًا لحظة ، ثم قال فى حدة :

ــ كما تأمر يا سيِّدى .

وغادر حجرة رئيسه غاضبًا ، واتجه إلى حجرته ، وضغط زر جهاز الاتصال الداخلى ، وهو يقول فى حدَّة :

ــ أرسل لى (جمال) .

وراح يسير فى أرجاء حجرته فى حَنَق ، مغمغمًا :

ـــ حتى الغروب ؟!.. يا للسخافة !!.. إنهم يطالبوننى بإنجاز المستحيل .. كيف لى أن أكشف شخصية ذلك الزعيم الغامض ، فى هذه الفترة القصيرة ؟ أيتصورون أننى سأتنازل عن كشف شخصيته ، من أجل مهاجمة الوكر ؟.. فليذهب الوكر إلى الجحيم .. المهم أن أوقع بذلك الوغد .

سمع صوت طرقات على باب حجرته ، فقال فى حدة :

ـــ ادخل يا (جمال) .

دلف الشرطى السرى (جمال) إلى حجرته ، وأدى التحية العسكرية فى احترام ، ووقف أمامه ثابتًا ، فقال (عادل) فى صرامة :

ـــ اسمع يا (جمال) .. أريد منك أن تراقب (حامد منصور) و (بديع فتحى) مراقبة شديدة اليوم ، وأبلغنى أوَّلًا فأوَّلًا ، بكل سكناتهما وحركاتهما .. هل تفهم ؟

أجابه فى حسم :

ـــ سأفعل يا سيِّدى .

وعاد يؤدى التحية العسكرية ، وانطلق على الفور لتنفيذ مهمته ، على حين عقد (عادل) حاجبيه ، وعاد يردِّد فى حَنَق :

ـــ سأحاول أيها السادة .. سأحاول إنهاء القضية قبل الغروب ..

* * *

ابتسم الملحن المعروف (بديع فتحى) ابتسامة تقليدية خاوية ، وهو يتطلَّع إلى وجه (عصام) ، الذى بدا مرتبكًا ، شاحبًا ، وهو يقول :

ـــ صباح الخير يا أستاذ (بديع) .. هل أيقظتك من نومك ؟

هزَّ (بديع) رأسه نفيًا فى هدوء ، وهو يقول :

ـــ كلَّا .. لقد استيقظت اليوم مبكِّرًا .

قال (عصام) مرتبكًا :

ـــ عظيم .. أنا صحفى فى جريدة الأ ..

قاطعه (بديع) مبتسمًا :

ـــ لا داعى لتقديم نفسك ، فأنا أعرفك جيِّدًا يا أستاذ (عصام) .

ارتفع حاجبا (عصام) ، وهو يغمغم فى دهشة :

ـــ تعرفنى ؟

أومأ (بديع) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـــ بالطبع .. إننى أتابع تحقيقاتك البوليسية فى اهتمام بالغ .

ثم مال نحوه ، مستطردًا فى جدِّية :

ـــ حتى أننى أتساءل ، لماذا طلبت مقابلتى ؟

خُيِّل لـ(عصام) أن عينى (بديع) تشفَّان عن ذكاء بالغ ، يفُوق ماتنمّ عليه هيئته ، وأنه يبدو رجلًا صارمًا حازمًا ، بخلاف ما أشاعته عنه الصحف ووسائل الإعلام ، من كونه رجلًا لاهيًا عابثًا ..

وفى توتر ، أجابه (عصام) :

ـــ إننى لم أعد أعمل فى قسم التحقيقات والحوادث ، ولقد أتيتُ لمقابلتك بشأن حديث فنى ، و ...

ارتفع حاجبا (بديع) ، وهو يهتف :

ـــ حديث فنى ؟!

تمتم (عصام) فى خُفُوت :

ـــ أتمانع ؟

ران الصمت لحظة ، و (بديع) يرمقه بنظرات غامضة ، قبل أن يفسح له فى الطريق ، قائلًا :

ـــ على العكس .. إننى أرحِّب بذلك .

دلف (عصام) إلى جناح (بديع) فى هدوء ، وجلس فوق

مقعد قريب ، وأخرج جهاز التسجيل الصحفى الصغير ، إلا أنه فوجئ بـ(بديع) يقول فى خشونة :

ـــ لا تسجيلات .

رفع عينيه إليه فى دهشة ، فرآه يبتسم مستطردًا :

ـــ هذا يبدو أشبه بتحقيقات الشرطة .. إننى أفضِّل الأحاديث الودية .

غمغم (عصام) :

ـــ بالطبع .

شملهما الصمت لحظات ، و (بديع) يتخذ مقعده أمام (عصام) ، حتى سأله هذا الأخير :

ـــ ما هى آخر أعمالك الفنية يا أستاذ (بديع) ؟

هزَّ (بديع) كتفيه ، وقال :

ـــ هناك مسرحية استعراضية أضع ألحانها ، ولحن أغنية جديدة للمطربة (زهرة) .

ألقى عليه (عصام) عدة أسئلة فنية ساذجة ، فى محاولة لمدّ جسور الحديث بينهما ، قبل أن يلقى سؤاله الخاص بغتة ، قائلًا :

ـــ هل تحب مدينة (الغردقة) ؟

رفع (بديع) حاجبيه فى دهشة ، وقال :

ـ لست أفهم صلة هذا السؤال بالأحاديث الفنية ؟!

ابتسم (عصام) ابتسامة باهتة ، وقال :

ـ إنه مجرَّد سؤال ، فلقد شاهدك البعض أمس هناك ، و

قاطعه (بديع) بضحكة عالية ، وهو يقول :

ـ يا له من بلد !.. لا يمكن إخفاء أى سر هنا .

غمغم (عصام) :

ـ لدى مصادرى الصحفية .

ضحك (بديع) مرَّة أخرى ، وقال :

ـ حسنًا .. إننى أعترف .. لقد كنت هناك أمس .

سأله (عصام) فى اهتمام :

ـ أهِىَ زيارة سرِّية ؟

رمقه (بديع) بنظرة غامضة ، ثم ابتسم فى خُبث ، مستطردًا :

ـ على نحو ما .

عاد (عصام) يسأله فى إصرار :

ـ ولكن مصادرى تقول إنك قد التقيت هناك بالسيِّد (صفوان) ، رجل الأعمال المصرى .

رفع (بديع) حاجبيه فى دهشة ، ثم لم يلبث أن عقدهما ، وهو يقول فى حزم :

ـ يبدو أن فضولك يغلب عقلك دَوْمًا يا أستاذ (عصام) .

ارتبك (عصام) ، وهو يغمغم :

ـ ليس دائمًا .

أومأ (بديع) برأسه متفهمًا ، ومطَّ شفتيه ، قبل أن يقول فى هدوء :

ـ حسنًا .. لقد قابلت السيِّد (صفوان) بالفعل .

ودون أن يدرى ، وجد (عصام) نفسه يهتف فى لهفة :

ـ لماذا ؟

ابتسم (بديع) ابتسامة لم تَرُق أبدًا لـ (عصام) ، وقال فى هدوء :

ـ سينتج السيِّد (صفوان) مسرحية غنائية استعراضية ضخمة ، ولقد رصد لها ميزانية تفوق ميزانية أية مسرحية مماثلة ، ولقد اختارنى لإعداد ألحانها ، وطلب أن نناقش هذا الأمر فى (الغردقة) ؛ لذا فقد سافرت إليها سرًّا ، وعدت سرًّا .

ثم ضحك ، مستطردًا :

ـ ولكن هأنتذا تكشف كل الأسرار .

غمغم (عصام) :

ـ هذا يهمّ القراء .. أليس كذلك ؟

تنهَّد (بديع) ، وقال :

ـ بالتأكيد .

ثم استطرد فى لهجة ساخرة :

ـ وتهم غيرهم أيضًا .

شَحُب وجه (عصام) ، وهو يغمغم :

ـ من تقصد ؟

لوَّح (بديع) بكفِّه ، قائلًا :

ـ الملحنون الآخرون بالطبع .

غمغم (عصام) فى شُحُوب :

ـ بالطبع .

وعندما غادر (عصام) الجناح ، كان يتساءل حقًّا ، وبكل حَيْرَة :

ـ من هو الزعيم الغامض ؟ .. من ؟!!

* * *

٦ ـ المحاورة ..

غادر (عصام) جناح (بديع فتحى) ، وهو يشعر بحيرة لا مثيل لها ، فقد بدا له أن (بديع) و (حامد) يحملان صفات زعيم الثعالب ، وكل منهما يثير فى نفسه قدرًا من الشكوك ، لم ينجح فى تأكيده أو محوه ، وتمنى من أعماق قلبه لو أن (حامد) ليس الزعيم ، إلا أنه لم يشعر بثقة كبيرة فى ذلك ، وراودته رغبة شديدة فى إلقاء بعض الأسئلة على (حامد) ، فاتجه إلى حجرته مباشرةً ، مطيعًا رغبته ، وقبل أن يطرق الباب ، سمع من خلفه صوتًا يقول فى هدوء :

ـ مرحبًا يا أستاذ (عصام) .. كيف حالك ؟

التفت (عصام) إلى مصدر الصوت ، ووقع بصره على (فؤاد رشدى) ، فابتسم قائلًا :

ـ صباح الخير يا (فؤاد) كيف حالك أنت ؟.. وحال الأمن ؟

ابتسم (فؤاد) بدوره ، قائلًا :

التفت (عصام) إلى مصدر الصوت، ووقع بصره على (فؤاد رشدى)..

ـ فى خير حال يا أستاذ (عصام) .. شكرًا لك .

ثم مال نحوه ، وتلاشت ابتسامته ، وهو يسأله فى جدِّية :

ـ قُل لى يا أستاذ (عصام) .. ألم تكوِّن رأيًا ما ، فى أمر تلك الجريمة البشعة ، التى وقعت هنا ؟

عقد (عصام) حاجبيه ، وهو يقول :

ـ أتقصد جريمة مقتل (هاشم) ؟

أومأ (فؤاد) برأسه إيجابًا ، فقال (عصام) :

ـ الظواهر كلها تقول إن (حامد منصور) هو القاتل ، ولكننى أظن أنه ليس كذلك .

سأله (فؤاد) فى اهتمام :

ـ لماذا ؟

أجابه (عصام) فى هدوء :

ـ لو أن (حامد) يريد قتل (هاشم) ، ما فعل ذلك بنفسه ، وما فكَّر فى أن يفعله بنفسه ، فقد كان يمكنه استئجار قاتل محترف مثلًا ، ثم إن المسدس الذى قُتِلَ به (هاشم ، والذى لم تكن عليه أيَّة بصمات ، كان مزوَّدًا بكاتم للصوت ، وهذا ينفى احتمال قتل (حامد) له فى ثورة غضب مثلًا ، ويؤكِّد أن الجريمة كانت معدَّة مسبَّقًا ، وتحرِّيات الشرطة لم

لم تثبت وجود أية علاقة مسبقة ، بين (حامد) و (هاشم) ، فكيف ينشأ بينهما ما يستوجب قتل أحدهما للآخر .

غمغم (فؤاد) :

ــ ربما كان تنافسًا تجاريًا .

هزَّ (عصام) رأسه نفيًا ، وقال :

ــ غير محتمل ، فرجل مثل (حامد منصور) لا يخشى التنافس التجارى أبدًا ، إذ يمكنه احتكار السوق ، وإجبار منافسه على الاستسلام ، بل دفعه إلى الإفلاس ، بفضل أمواله الطائلة .

صمت لحظة ، ثم أضاف فى اهتمام :

ــ وهناك أمر النافذة المفتوحة .

سأله (فؤاد) فى اهتمام :

ــ أية نافذة ؟

أجابه (عصام) فى اهتمام مماثل :

ــ نافذة الحجرة .. لقد قرَّر (حامد) أنه قد وجدها مفتوحة ، وهكذا أيضًا وجدها رجال الشرطة ، وهذا ليس أمرًا مألوفًا ، أن يترك شخص نافذة حجرته مفتوحة ، مع وجود مكيفات هواء بالحجرة ، مما يُوحِى بأن شخصًا ما قد فتحها ، عندما تسلَّل لقتل (هاشم) ، أو لمغادرة الحجرة .

هزَّ (فؤاد) رأسه نفيًا ، وقال :

ــ هذا مستحيل ، فلقد كنت أجلس فى الجناح المجاور تمامًا ، ومن المستحيل أن يدخل أى مخلوق إلى جناح (هاشم) ، فى نهاية الرواق ، عن طريق النافذة ، دون أن يمر بنافذتى .

سأله (عصام) فى اهتمام :

ــ ما تفسيرك لفتح النافذة إذن ؟

هزَّ كتفيه ، قائلًا :

ــ ربما فتحها (حامد) نفسه ، ليجعل من فتحها ثغرة محيِّرة ، يجيد محاميه الداهية استغلالها .

بدا ذلك الاحتمال معقولًا لـ (عصام) ، الذى عقد حاجبيه ، مغمغمًا :

ــ ربَما .

ثم ربَّت على كتف (فؤاد) ، مستطردًا :

ــ على أية حال ، ما زال موقف (حامد منصور) يحتاج إلى بعض التوضيح ؛ ولهذا السبب أنا هنا .

ثم طرق باب جناح (حامد منصور) فى حزم ..

* * *

تجهَّم وجه (حامد منصور) ، وأشاح به عن (عصام) ، وهو يقول فى حدة :

ــ أسلوبك فى التحدُّث معى سخيف حقًّا هذه المرَّة يا (عصام) .. إنك تبدو وكأنك تتهمنى ، لا تحاول إثبات براءتى .

قال (عصام) فى هدوء :

ــ لست أسعى لإثبات براءة أحد يا (حامد) بك ، ولكننى أسعى للوصول إلى الحقيقة فحسب .

هتف (حامد) فى غضب :

ــ والحقيقة هى أننى برىء .

هزَّ (عصام) كتفيه ، وغمغم :

ــ فلنأمل ذلك .

عقد (حامد) حاجبيه فى غضب ، وهو يقول فى حدة :

ــ (عصام) .. أسلوب حديثك معى لا يَرُوق لى هذه المرة .

قال (عصام) فى هدوء :

ــ ربما لأننى متوتّر بعض الشىء .. المهم أن تجيب سؤالًا يحيرنى فى شدة .

قال (حامد) فى عصبية :

ــ أى سؤال هذا ؟

أجابه (عصام) فى اهتمام :

ــ من أجاب محادثتك الهاتفية لمنزلى ؟

قال (حامد) فى دهشة :

ــ صديقك .

سأله (عصام) فى حدَّة :

ــ أى صديق هذا ؟

قلَّب (حامد) كفَّيْه ، قائلًا :

ــ ومن أدرانى ؟ .. كل ما قاله هو أنه صديقك ، وأنك ستسافر إلى (الغردقة) ، وهذا كل ما لدىّ .

سأله (عصام) .

ــ ومتى حدث ذلك ؟

أجابه فى ضيق :

ــ فى الثامنة صباحًا تقريبًا .

هتف (عصام) فى دهشة :

ــ هذا يعنى أنه قد أخبرك بذلك ، قبل أن أعلم أنا نفسى أننى سأسافر إلى (الغردقة) ، فكيف علم أننى سأفعل ؟

قلب (حامد) كفيه مرة أخرى ، وهو يقول فى حدة :

ــ لست أدرى .. قلت لك لست أدرى .

ابتسم (عصام)ابتسامة غامضة ، وهو يقول :

ــ ربما يا سيِّد (حامد) ، ولكنك أرشدتنى إلى الكثير .. الكثير جدًا .

* * *

قطع (فؤاد رشدى) ذلك الرواق ، الذى يضمّ حجرات الطابق الثالث بالفندق ، متفقّدًا أحوال الأمن فى هدوء ، ثم اتجه نحو سُلّم الفندق ، لينتقل إلى طابق آخر ، إلا أنه فوجئ أمامه بالشرطى السرى (جمال) ، فهتف فى دهشة :

ــ أنت ؟!.. ماذا تفعل هنا هذه المرّة ؟!

أشار إليه (جمال) أن يخفض صوته ، وهو يقول هامسًا :

ــ رُوَيْدَك .. إننى هنا لمراقبة الطابق .

سأله (فؤاد) فى دهشة :

ــ لماذا ؟.. لقد قُتِلَ الرجل ، الذى كنت تراقبه .

ابتسم (جمال) ، وقال :

ــ إننى أراقب رجلين هذه المرّة .

ورفع سبَّابته وَوُسْطاه ، مستطردًا :

ــ (حامد منصور) ، و (بديع فتحى) .

هتف (فؤاد) فى دهشة :

ــ عجبًا !!.. يمكننى أن أفهم سرّ مراقبتك لـ (حامد) ، حيث إنه ما زال متهمًا بقتل (هاشم) ، ولكن لماذا تراقب (بديع) ؟

ابتسم (جمال) فى غموض ، وهو يقول :

ــ إنه أمر أكبر مما يمكنك استيعابه يا صديقى .

عقد (فؤاد) حاجبيه فى ضيق ، وبدا من الواضح أن العبارة لم تَرُق له ، خاصةً وهو يقول فى حدة :

ــ كان المفروض أن تطلبوا منا مراقبتهما ، فنحن المسئولون عن الأمن هنا .

ابتسم (جمال) ، قائلًا :

ــ لا تجعل هذا يغضبك يا صديقى ، إنك ستعاوننا بالطبع .

ثم استطرد همسًا :

ــ هل الاثنان فى جناحيهما ؟

أجابه (فؤاد) :

ـــ نعم .. فالأستاذ (بديع) لم يغادر الفندق ، والأستاذ (حامد) فى جناحه ، مع ذلك الصحفى (عصام) .

صمت لحظة ، ثم أضاف فى اهتمام :

ـــ ما رأيك فى ذلك الصحفى ؟

ابتسم (جمال) ، وهو يقول :

ـــ إنه شاب ممتاز .

عاد (فؤاد) يسأله فى تردُّد :

ـــ أهو مدمن هيروين حقًّا ؟

ارتفع حاجبا (جمال) فى دهشة ، وهو يهتف :

ـــ من وضع فى رأسك تلك الفكرة الحمقاء ؟

أجابه (فؤاد) :

ـــ إنهم يتناقلون تلك الشائعة ، ولكننى كنت أتحدَّث إليه منذ لحظات ، وقد بدا لى صافِىَ الذهن تمامًا ، على عكس مدمنى تلك المخدرات ، الذين يبدون دومًا شاردى الذهن .

ابتسم (جمال) ، قائلًا :

ـــ أنت ذكى .

قال (فؤاد) باهتمام بالغ :

ـــ إذن فهو ليس مدمنًا .

هزَّ (جمال) رأسه نفيًا ، وقال :

ـــ كلَّا ، وإلا فما وثَق به العقيد (عادل محمود) ، وسمح له بالعمل معنا .

هتف (فؤاد) فى دهشة بالغة :

ـــ معكم ؟!.. أتعنى أن (عصام كامل) ؟..

لوَّح (جمال) بيده فى ذعر ، هاتفًا فى همس :

ـــ مهلًا يا رجل .. أتنوى إذاعة سر خطير كهذا ؟

خفض (فؤاد) صوته فى شدة ، وهو يغمغم :

ـــ أهو يعمل معكم حقًّا ؟

أجابه (جمال) فى توتُّر :

ـــ اسمع .. أنت رجل أمن مثلنا ، ويمكننى أن أثِق بك .. إنه يعمل معنا بالفعل ، فى قضية مخدرات كبرى ، ولكن هذا السر بالغ الخطورة .

أجاب (فؤاد) فى حزم :

ـــ لن أخبر أحدًا .. أُقسم لك .

تنهَّد (جمال) فى ارتياح ، وقال :

ـــ شكرًا لك ، فسيقتلنى العقيد (عادل) ، لو علم أننى قد أخبرتك .

أجابه (فؤاد) فى شهامة :

ـــ اطمئن .. لن يعلم .

وصافحه مستطردًا بابتسامة :

ـــ ومنذ هذه اللحظة ، اعتبرنى أنا أيضًا أعمل معكم ، وسنتحد جميعًا للإيقاع بأصحاب قضية المخدرات الكبرى هذه ، وثق أننا سننتصر .. سننتصر انتصارًا ساحقًا ..

* * *

غادر (عصام) جناح (حامد منصور) ، وهو أكثر حيرةً مما دخله ..

لقد شعر أن (حامد) يتحدَّث إليه فى صدق وإخلاص ، وأنه لم يكذب فى حرف واحد مما قاله ..

ولكنه ما يزال قلقًا ..

إنه يخشى أن يكون خياله هو الذى صوَّر له هذا ..

ربما لأنه يتمنى فى أعماقه أن يكون (حامد) بريئًا ..

ربما ..

ولكنه لن ينسى آخر عبارات (حامد) ، وهو يودِّعه ، عندما قال :

ـــ أعِدك بأن تصبح ذراعى اليمنى ، إذا ما نجحت فى إثبات براءتى يا (عصام) .

ما الذى كان يعنيه بذراعه اليمنى ؟

إنه يعلم أن (عصام) لا يمتلك عقلية تجارية ، بحيث يصبح ذراعه اليمنى فى العمل ، فهل كان يقصد أنه سيجعله ذراعه اليمنى فى العصابة ؟!

وماذا عن (بديع) ؟!

إن أسلوبه وحديثه يثيران الشك ..

أمن الممكن أن يكون هو الزعيم ؟

زعيم الثعالب !!

وفجأة توقَّف (عصام) ، وخَفَق قلبه فى عنف ، وعاودته ذكرى مخيفة ، فقد وقع بصره على (صفوان) ، الذى اعترض طريقه ، قائلًا فى صرامة :

ـــ اتبعنى .. سنغادر هذا المكان .

وبصوت اختنقت نبراته ، وارتجفت حروفه ، سأله (عصام) :

ـــ إلى أين ؟

أجابه (صفوان) فى صرامة ، وهو يستدير متجهًا نحو سيارته :

ـــ إلى أرضنا .. إلى (شدوان) ..

* * *

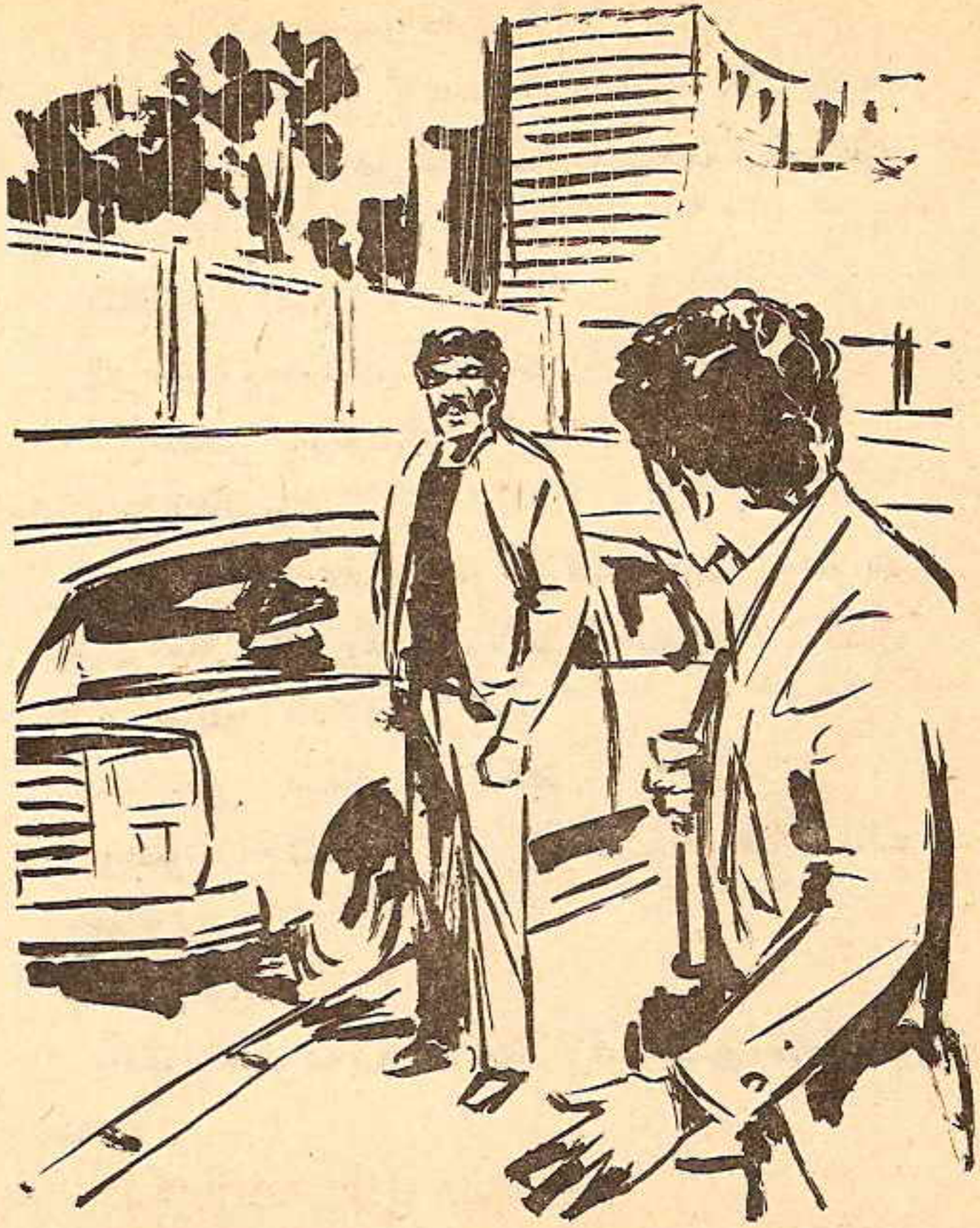

وفجأة توقَّف (عصام) ، وخفَق قلبه فى عنف ، وعاودته ذكرى مخيفة ، فقد وقع بصره على (صفوان) ، الذى اعترض طريقه ..

٧ ــ الوقوع فى الفخ ..

انفعالات عجيبة ، تلك التى تجتاح (عصام) ، كلما التقى بذلك الرجل (صفوان) ..

مزيج من الخوف ، والرهبة ، والجمود ، والتوتُّر ..

مزيج يجعل الدم يفرّ من عروقه ، ويتجمَّد فى قلبه ..

وفى كل مرَّة ، لم يكن (عصام) يجرؤ على مخالفة أوامر ذلك السفاح ..

ولقد تبعه ــ فى هذه المرة . إلى سيارته فى صمت ، وبوجه شاحب ممتقع ، وجلس إلى جواره ، فى المقعد الخلفى ، دون أن يتبادلا حرفًا واحدًا ، على حين أدار السائق محرِّك السيارة ، وانطلق بها على الفور ، وكأنه يعرف هدفه جيِّدًا ..

ولم ينبس (عصام) ببنت شفة ، طوال نصف الساعة التالية ، حتى اتخذت السيارة طريقها ، إلى خارج (القاهرة) ، فسأله فى صوت متحشرج مختنق :

ــ إلى (الغردقة) مرَّة أخرى ؟!

أجابه (صفوان) فى خشونة :

ــ نعم .

كان هذا آخر ماتبادلاه من حديث ، والسيارة تنهب الأرض نهبًا ، و (عصام) حائـــر ، لايدرى ما مصيره ، وما الذى ينتظره ..

الزعيم ؟! .. أم الموت ؟!

أم كلاهما ؟!!..

* * *

قاربت الشمس المغيب ، و (عادل) يجلس فى حجرة مكتبه ، فى مبنى إدارة مباحث أمن الدولة ، يقدح ذهنه ، محاولًا التوصُّل إلى شخصية الزعيم المجهول ، وقد أحنقه كثيرًا أن (عصام) لم يتصل به ، كما كان المفروض ، بعد مقابلته لـ(بديع فتحى) ..

وراح (عادل) يتصل هاتفيًا بـ(عصام) ، فى منزله ، ومكتبه بالجريدة ، دون جدوى ..

وأخيرًا عاد الشرطى السَّرى (جمال) ، فهتـــف به (عادل) :

ــ أين (عصام) ؟

أجابه (جمال) فى دهشة :

ــ وأنَّى لى أن أعرف يا سيِّدى ؟

سأله (عادل) فى توتُّر :

ــ ألم يلتقِ بـ(بديع فتحى) ، فى فترة نوبتك ؟

أجابه (جمال) :

ــ أجل .. ولقد التقى بـ(حامد منصور) أيضًا ، ثم غادر الفندق كله فى الثانية عشرة ظهرًا .

شعر (عادل) بالقلق ، وهو يسأل :

ــ أين ذهب إذن ؟

قلَّب (جمال) كفَّيْه فى حَيْرَة ، وغمغم :

ــ لست أدرى .

أطلَّ الذَّعر من عينى (عادل) ، وأسرع يلتقط سمَّاعة هاتفه ، ويقول فى توتر :

ــ هنا العقيد (عادل محمود) .. أريد عشرة من رجالنا ، ليبحثوا فى كل شبر عن الصحفى (عصام كامل) .. أريد معرفة أين هو ، خلال ساعة واحدة من الزمان .

وتطلَّع إلى نافذة حجرته فى توتُّر ، مستطردًا :

ــ وبعدها ستغرب الشمس ..

* * *

وصلت السيارة إلى (الغردقة) ، قبل ساعة واحدة من

غروب الشمس ، وتوقَّفت فى الميناء الصغير ، أمام زورق (صفوان) الخاص ، فغادر هو و (عصام) السيارة ، واستقلَا الزورق ، الذى انطلق به سائقه ، فقال (عصام) فى توتر :

ـــ هل سنذهب إلى (شدوان) مرة أخرى ؟

أجابه (صفوان) فى سخرية :

ـــ يالك من ذكى !!

ازدرد (عصام) لُعابه فى صعوبة ، وقال :

ـــ هل سينتظرنا الزعيم هناك ؟

عقد (صفوان) حاجبيه الغليظين ، وهو يقول فى صرامة :

ـــ الزعيم لا ينتظر أحدًا .. نحن سننتظره .

كان من الواضح أن (صفوان) يرفض تبادل الحديث تمامًا ، مما دفع (عصام) إلى التزام الصمت ، حتى توقَّف الزورق كالمعتاد ، وارتجّ تلك الارتجاجة الواضحة ، ثم تحرَّك قراره ، كاشفًا تلك الفجوة ، التى تصله بالغواصة الخاصة ، فانتقل إليها (عصام) و (صفوان) ، وأبحرت بهما نحو الجزيرة ..

ومرَّة أخرى وجد (عصام) نفسه فى وكر الثعالب ..

وفى تلك المرَّة ، لم يشعر بالارتياح أبدًا ، وخاصةً عندما افترَّ ثغر (صفوان) عن ابتسامة مخيفة ، وهو يقول فى بطء ، وبلهجة تكفى لتجميد الدم فى عروق رجل مصاب بسيولة الدم (الهيموفيليا) :

ـــ مرحبًا بك فى أرضنا هذه المرَّة أيها الصحفى .. مرحبًا بك فى (شدوان) ..

ثم أطلق ضحكة شيطانية ، ساخرة ، مخيفة ..

* * *

« لم تجدوا أدنى أثر له ؟!.. ما الذى يعنيه هذا ؟!.. »

صرخ (عادل) بتلك العبارة فى ارتياع ، فى وجوه رجاله العشرة ، قبل أن يستطرد فى توتُّر بالغ :

ـــ هل انشقَّت الأرض وابتلعته ؟!.. أين ذهب ؟

أجابه أحد رجاله :

ـــ لقد بحثنا عنه فى كل مكان محتمل ياسيِّدى ، ولكن عبثًا .

ضرب (عادل) قبضته فى راحته ، وهو يقول فى توتُّر :

ـــ أخشى ما أخشاه أن يكونوا قد كشفوا أمره ، وحملوه إلى حيث يمكنهم التخلُّص منه .

غمغم (جمال) فى توتُّر :

ـــ كيف يا سيادة العقيد ؟

هتف (عادل) فجأة :

ـــ (حامد منصور) .. لقد كان آخر من التقى بهم (عصام) ، ومن المحتمل أنه المسئول عن اختفائه .

ثم التقط سترته ، واندفع خارجًا ، وهو يستطرد فى انفعال :

ـــ اتبعونى يا رجال ، سنجبر ذلك الملياردير الوغد على الاعتراف .

اعترضه اللواء (يحيى) فى صرامة ، على باب مكتبه ، وهو يقول :

ـــ إلى أين يا (عادل) ؟

لوَّح (عادل) بذراعه ، وهو يقول فى عصبية وتوتُّر :

ـــ لقد اختفى (عادل) مرَّة أخرى يا سيِّدى ، وتحرِّياتى تشير إلى أن المسئول عن ذلك هو (حامد منصور) ، و...

قاطعه رئيسه فى حزم :

ـــ وما الأدلة التى لديك على هذا ؟

عقد (عادل) حاجبيه ، وقال فى حدَّة :

ـــ إنها استنتاجات منطقية .

هتف اللواء (يحيى) فى حدَّة :

ـــ ماذا ؟!.. استنتاجات ؟!.. أتظن أن المحكمة ستأخذ باستنتاجاتك المنطقية ؟!.. أتظنهم سيدينون الرجل ، اعتمادًا على رأى شخصى ؟. أتعلم من هو محامى (حامد منصور) .. إنه (برهان شريف) ، أستاذ علم القانون الجنائى ، بجامعة (القاهرة) ، وأبرع محام عرفه تاريخ مصر .. إنه سيمزِّق استنتاجاتك المنطقية هذه تمزيقًا .

فقد (عادل) سيطرته على أعصابه ، وهو يهتف :

ـــ فليذهب (برهان) هذا إلى الجحيم .. فلتذهب القضية كلها إلى الجحيم ، إن كل ما أريده هو (عصام) .. (عصام) فقط .

هتف اللواء (يحيى) فى غضب :

ـــ لقد غربت الشمس يا (عادل) ، وسأصدر قرارًا بتنحيتك عن تلك القضية ، و ...

قاطعه (عادل) فى صوت هادر :

ـــ ومن قال إننى أسعى خلف هذه القضية اللعينة ؟

وأطلَّ من عينيه مزيج من الحزم والصرامة والغضب ، وهو يقول :

ـــ اسمع يا سيِّدى .. إنها قضيتى ، ولقد قطعت فيها شوطًا كبيرًا ، وكدت أضع يدى على أقوى منظمة لترويج المخدرات ، عرفها العالم العربى كله ، ولست أقاتل إلا فى سبيل الإيقاع بزعيمها أيضًا ، ولن يمنعنى أحدٌ من أداء واجبى نحو وطنى ، حتى ولو اضطررت للاستقالة .

احتقن وجه اللواء (يحيى) فى شدة ، ومضت لحظة من الصمت ، قبل أن يقول فى صوت جاف :

ـــ حسنًا يا (عادل) .. سأمد المهلة حتى فجر الغد .

ثم استطرد فى حدة مفاجئة :

ـــ وبعدها لن أمدّها ولو لحظة واحدة ، إلا إذا ..

قبل أن يتمَّ عبارته ، كان (عادل) قد أصبح خارج المكان ، وخلفه الرجال العشرة ، فابتسم اللواء (يحيى) ، وقال فى خُفوت :

ـــ يالك من رجل !!.. هكذا أنت دَوْمًا يا (عادل محمود) .. لاتقبل إلا النصر .. النصر وحده ..

★ ★ ★

قاد (صفوان) (عصام) عَبْرَ ذلك الممر الطويل ، الذى انتهى بهما فى تلك الحجرة الخالية ، حيث وقفا صامتين ،

ساكنين ، وتحرَّكت آلة التصوير التليفزيونية ، لتتركَّز على وجه (عصام) ، قبل أن يرتفع ذلك الصوت الصارم ، قائلًا :

ـــ ها نحن أُولاء نلتقى مرَّة أخرى يا (عصام) .

صمت (عصام) لحظة ، حاول خلالها استجماع شجاعته ، قبل أن يقول :

ـــ عجبًا !!.. كنت أظننا قد التقينا هذا الصباح !

ارتجّت جدران الحجرة بضحكة ساخرة ، انطلقت من أعماق الزعيم الغامض ، قبل أن يقول بصوت عجز (عصام) عن تمييزه كالمعتاد :

ـــ محاولة فاشلة أيها الصحفى .. إنك لن تبلغ مقدار ذكائى أبدًا .

واطلق ضحكة شيطانية أخرى ، ابتسم لها (صفوان) فى سخرية ، وخَفَق لها قلب (عصام) فى قوة ، قبل أن يستطرد :

ـــ لقد التقينا بالفعل هذا الصباح ، ولكنك لن تعلم أبدًا من أنا .

هتف (عصام) :

ـــ بل أعلم .

بدا صوت الزعيم الغامض مُفْعَمًا بالسخرية ، وهو يقول :

ــ هكذا ؟! .. من أنا إذن ؟

أجابه (عصام) فى توتُّر :

ــ أنت (بديع فتحى) :

أطلق الزعيم ضحكة ساخرة ، وقال :

ــ وماذا لو قلت إننى لست هذا الرجل ؟

قال (عصام) فى عصبية :

ــ سيؤسفنى أن تكون (حامد منصور) .

قال الزعيم فى سُخرية :

ــ إنها ليست لُعبة تخمين أيها الصحفى ، إننى أمنحك دقيقة واحدة ، لتعرف من أنا منهما .

وتضاعفت رنة السخرية فى صوته ، وهو يستطرد :

ــ مع العلم أنه لو كان صديقك العقيد (عادل محمود) فى موضعك ، لعرف الحل على الفور .

شحب وجه (عصام) فى شدة ، وهو يغمغم فى ارتياع :

ــ صديقى العقيد ؟!

أطلق الزعيم ضحكة ساخرة أخرى ، وقال :

ــ عجبًا !!.. هل ستبرَّأ من صداقته ، لتنجو بحياتك ؟!.. ألست صديقًا له ؟.. ألست تعمل لحساب مباحث أمن الدولة ؟!

امتقع وجه (عصام) فى شدة ، وتوقَّفت الدماء عن السريان فى عروقه ، عندما سمع ضحكة (صفوان) الساخرة الشامتة من خلفه ، وشعر بفُوَّهة مسدَّس هذا الأخير الباردة ، وهى تلتصق بظهره ، فعجز عن التفوه بكلمة واحدة ، وخيَّل إليه أنه سيسقط جثة هامدة ، على حين استطرد الزعيم الغامض :

ــ لو أردت رأيى ، فأنت تستحق القتل .. أليس كذلك يا (صفوان) ؟

أجاب (صفوان) فى شراسة :

ــ بلى .

ثم استطرد فى لهفة وحشية :

ــ هل أقتله أيها الزعيم ؟

تجاهل الزعيم سؤال (صفوان) ، وهو يتابع :

ــ ولكنك لست مجرَّد ضابط شرطة عادى ، أو حتى صحفى عادى ، إنك صحفى متميِّز متفوِّق ، يستحق دائمًا

ثم استطرد فى لهفة وحشية :

ــ هل أقتله أيها الزعيم ؟ .

أسلوبًا خاصًا فى المعاملة ، ووسيلة فريدة فى كل شىء حتى فى الموت .

استمرّ (عصام) على صمته ، والزعيم يواصل ، قائلًا فى سُخرية :

ــ ومن أجل هذا ، قرّرت أن أمنحك فرصة خاصة ، لم أمنحها لأحد من قبل .. رغبة أخيرة ، تملأ نفسك ، وتعربد فى أعماقك .

وسرت فى صوته رنّة زهوٍ ، وهو يستطرد :

ــ سأمنحك شرف تعرُّفى .

ثم استدرك فى سرعة :

ــ ولكننى سأمنحك أوّلًا دقيقة كاملة ، تحاول خلالها استنتاج من أنا .. (بديع) أم (حامد) ، ولو توصّلت إلى الحقيقة فسأطلق سراحك ، أما لو فشلت ، فسيكون عقابك هو الموت .

مضت الدقيقة بسرعة مخيفة ، وراح عقرب الثوانى يلتهمها فى شراهة ، حتى بلغ عدد دقات قلب (عصام) ضعف العدد الحقيقى ، وقفزت إلى الضعفين ، عندما دوى صوت الزعيم المجهول ، قائلًا :

ــ انتهى الوقت ، وأمامك فرصة واحدة .. من أنا ؟

هتف (عصام) فى محاولة أخيرة :

ــ أنت (حامد منصور) .

دَوَّى صوت ضحكة شيطانية ، وانزاح الحائط المواجه لـ(عصام) فى بطء ، وظهر وجه الزعيم الغامض واضحًا من خلفه ، وسمع (عصام) صوته الحقيقى ، وهو يقول فى سُخرية :

ــ خسرت .

وتراجع (عصام) فى ذُعر هائل ..

لقد رأى وجه الزعيم ، ولكنه خسر ..

خسر حياته كلها ..

* * *

٨ــ وجه الشيطان ..

انتفض (حامد منصور) من مقعده ، فى شرفة جناحه ، عندما اقتحم (عادل محمود) ورجاله المكان ، وخلفهم مدير الفندق ، يهتف فى سخط واستنكار:

ــ ليس هذا من حقك أيها العَقِيد .. السيِّد (حامد) نزيل بالفندق منذ زمن ، وهذا يجعل المكان بالنسبة إليه كالمنزل ، و ...

قاطعه (حامد) ، وهو يهتف فى ذُعر :

ــ ماذا يحدث ؟.. من أنتم ؟

اندفع (عادل) نحوه ، وجذبه من قميصه فى عُنف ، وهو يهتف فى حدة :

ــ أين (عصام) ؟

هتف (حامد) فى هلع :

ــ لست أدرى .. أُقسم لك .. أنا نفسى أبحث عنه .

صاح (عادل) فى غضب :

ـــ اسمع يا رجل .. لست مستعدًّا لإضاعة الوقت معك ، فى محاورات سخيفة ، كما أن ثروتك لن تبهرنى ، وملايينك لن تكفى كلها لرشوتى ، للتخلّى عن صديقى (عصام) .

صرخ (حامد) فى رعب :

ـــ ماذا تقول أيها العقيد ؟!.. إننى رجل شريف .. لقد بنيت نفسى من الصفر ، ولم يدخل جيبى قرش واحد بطريق غير قانونى ، ويمكننى إثبات ذلك .. أُقسم لك .

كان الصدق واضحًا ، فى كل حرف من حروف كلماته ، حتى أن (عادل) قد شعر بالحيْرة والتوتُّر ، وهو يترك سترته ، مغمغمًا :

ـــ من إذن ؟.. من زعيم الثعالب ؟

وفجأة اتسعت عيناه ، وبرقتا ، واندفع خارج الجناح ، واقتحم الجناح المجاور ، وانتزع (بديع فتحى) من فراشه ، وهو يهتف فى غضب :

ـــ إنه أنت .

صرخ (بديع) فى رُعب :

ـــ أنا ماذا ؟!.. من أنت ؟.. وماذا تريد ؟

صاح به (عادل) فى توتر :

ـــ أنت الزعيم المجهول .. زعيم الثعالب .

لوَّح (بديع) بذراعيه ، وهو يهتف فى ارتياع :

ـــ أى ثعالب ؟.. وأى زعيم ؟.. وأى مجهول ؟.

صرخ به (عادل) فى صرامة :

ـــ اسمع يا رجل .. لست مستعدًّا لإضاعة الوقت ، ستعترف لى بكل شىء ، وبأنك زعيم أضخم منظمة لترويج المخدرات ، وأنك قد اختطفت (عصام) ، و ....

صاح (بديع) فى رُعب :

ـــ سأعترف .. سأعترف بكل ما تريده ، ولكن .. اتركنى .

صرخ (عادل) فى ثورة :

ـــ أريد الحقيقة .

تفجَّرت الدموع من عينى (بديع) ، وراح يرتعد ، وهو يقول :

ـــ الحقيقة هى أننى ملحن مسكين ، لا صلة لى بالمخدرات أو الزعامات .. أو المنظمات .

ثم أسرع يخفى وجهه بكفيه ، مستدركًا فى ذُعر :

ـــ ولكننى سأعترف .. سأعترف بكل ما تريد .

لم يكن هذا ما ينشده (عادل) ..

لقد كان واضحًا أن (بديع) ليس الزعيم ..

ليس زعيم الثعالب بأى حال من الأحوال ..

من المستحيل أن يكون الزعيم جبانًا رعديدًا إلى هذا الحد ..

وامتلأت نفس (عادل) بالحَيْرَة ، وتراجع متخلّيًا عن (بديع) ، ومغمغمًا فى توتُّر :

ــ من إذن ؟.. من اختطف (عصام) ؟.. من يعلم حقيقته ؟

تردَّد الشرطى السرى (جمال) ، وهو يغمغم :

ــ سيِّدى .

التفت إليه (عادل) ، وقال فى حدَّة :

ــ ماذا تريد يا (جمال) ؟

تردَّد (جمال) مرَّة أخرى ، ثم غمغم :

ــ هناك شخص يعلم أن الأستاذ (عصام) يعمل فى صفوفنا .. شخص أخبرته أنا بذلك .

كاد يسقط جثة هامدة ، عندما هدر صوت (عادل) كقذيفة مدفع .

ــ أنت أخبرته ؟!

ثم اندفع نحوه ، وجذبه من سترته ، صارخًا :

ــ إنك تستحق أن أقتلك من أجل هذا .

غمغم (جمال) فى مرارة :

ــ نعم .. إننى أستحق ذلك يا سيِّدى .

صاح به (عادل) فى ثورة :

ــ من هذا الرجل ؟.. قُلْ .. أسرع .

قال (جمال) فى ألم :

ــ سأخبرك .. سأخبرك يا سيِّدى من هو ..

* * *

« فؤاد رشدى » ؟!!

هتف (عصام) بذلك الاسم فى ذهول تام ، وهو يحدِّق فى وجه (فؤاد) ، مسئول الأمن فى فندق (شيراتون) الجزيرة ، قبل أن يستطرد :

ــ أنت زعيم الثعالب ؟!

ابتسم (فؤاد) فى سُخرية ، وقال :

ــ زعيم الثعالب !!.. لقب طريف يا أستاذ (عصام) ، لم يخاطبنى به أحد أبدًا ، ولكنه يَرُوق لى .

« فؤاد رشدى » ؟!!

هتف (عصام) فى ذُهُول :

ــ ولكن هذا مستحيل !! مستحيل !!

قال (فؤاد) فى زهوٍ :

ــ ذهولك يُشعرنى بالفخر يا (عصام) ، ويؤكّد لى أننى كنت دومًا الأذكى والأقوى .

غمغم (عصام) فى بُغض :

ــ والأقذر .

ابتسم (فؤاد) فى سُخرية ، قائلًا :

ــ لا بأس ، مادامت كل الصفات على وزن أفعل .

قال (عصام) فى حدة :

ــ فليكن .. أنت إذن الأحقر والأنفه ، و ...

عقد (فؤاد) حاجبيه ، وهو يقول فى حدّة :

ــ كَفَى .

شعر (عصام) بمرارة شديدة فى أعماقه ، وهو يقول :

ــ كيف أدرت تلك اللعبة الجهنمية ؟

أجابه (فؤاد) فى سخرية :

ــ سأخبرك كيف .. سأدهشك بكل التفاصيل ..

* * *

هتف اللواء (يحيى) فى دهشة ، وهو يستمع إلى (عادل) :

ـــ (فؤاد رشدى) هو الزعيم ؟!.. كيف توصّلت إلى ذلك يا (عادل) ؟

قال (عادل) فى مرارة :

ـــ كان ينبغى أن أتوصّل إلى ذلك منذ البداية يا سيّدى ، وإننى لأشعر بالمرارة ؛ لأننى لم أفعل ، فكل شىء كان ينطبق عليه .. إنه يقيم فى الفندق بصفة دائمة ، وعمله يقتضى أن يعلم بأسماء النزلاء أوّلًا فأوّلًا ، ولهذا لم يكن (هاشم) يحتاج إلى تحديد موعد معه ، فمجرّد حجز جناح بالفندق ، يعنى أنه يطلب لقاءه للأهمية ، ولقد كانا يلتقيان فى واحدة من الحجرات الخالية بالفندق ، فى الطابق الثالث ، وعندما أردنا مراقبة (هاشم) فى المرة التالية ، صعد هو معه فى المصعد ، ونجح فى تحذيره ، بحيث اتجه (هاشم) إلى حجرته مباشرة وليس إلى حجرة اللقاء ، فى الطابق الثالث ، واتخذ (فؤاد) الحجرة المجاورة ، بحجة مراقبة (هاشم) ، ثم انتقل إلى حجرة (هاشم) ، عن طريق النافذة ، وقتله ، واتصل بعدها بـ (حامد) ، وطلب منه الحضور إلى حجرة (هاشم) ، ثم عاد إلى حجرته ، ولكنه لم يستطع إغلاق النافذة من الخارج ، فتركها مفتوحة ..

تنهّد فى أسف ومرارة ، وعاد يستطرد :

ـــ وعندما أراد أن يلتقى بـ (عصام) فى وكره ، فى جزيرة (شدوان) ، قام بلعبة شيطانية خبيثة ، فجعل (حامد) و (بديع) يذهبان إلى (الغردقة) ، فى الموعد نفسه ، بحيث نعجز تمامًا عن التوصل إلى الحقيقة ، وبحيث يدعى أنه كان يراقبهما ، لو شاهده أحد هناك .

صمت لحظة أخرى ، قبل أن يستطرد فى حنق :

ـــ لقد نجح فى خداعنا جميعًا ، حتى أن (جمال) قد أخبره بحقيقة (عصام) ، ولا شك أنه قد أخـــذه إلى وكره فى (شدوان) ، ويعلم الله ما إذا كان (عصام) حيًا حتى الآن أم لا .

عقد اللواء (يحيى) حاجبيه ، وهو يقول فى توتُّر :

ـــ أى وكر هذا يا (عادل) ؟ لقد كرّرت الكلمة مرّتين ، دون أن تشرح لى مدلولها .

أجابه (عادل) فى توتُّر :

ـــ إن مدلولها بالغ الخطورة يا سيّدى .. إنه قنبلة .

اتسعت عينا اللواء (يحيى) ، وهو يستمع إلى (عادل) ، حتى انتهى هذا الأخير ، فصاح اللواء (يحيى) فى ذهول :

ـ يا إلهى !!.. كيـف أمكـنك أن تخفـى كل هذا يا (عادل) ؟

والتقط سمَّاعة الهاتف ، وهو يستطرد :

ـ سيزلزل هذا الخبر نصف (مصر) على الأقل .

أدار قرص الهاتف فى لهفة ، ولم يكد يسمع صوت محدِّثه ، حتى قال فى صوت يحمل انفعالاً رهيبًا :

ـ أنا اللواء (يحيى) يا سيادة الوزير .. مدير مباحث أمن الدولة .. لدى هنا عملية رهيبة ، تحتاج إلى تجنيد كل قواتنا .. طائرات الهليوكوبتر ، وزوارق خفر السواحل ، والضفادع البشرية .. كل شىء .

والتقت عيناه بعينى (عادل) ، وهو يستطرد :

ـ إنها عملية كبرى .

* * *

عقد (عصام) حاجبيه ، وهو يقول لـ (فؤاد) فى توتُّر :

ـ أليس من العجيب أنك تشرح لى كل هذه الأسرار ، بعد أن علمت أننى أعمل ضدك ؟

أجابه (فؤاد) فى هدوء ، وهو يُشعل سيجارته :

ـ كلَّا .. هذا ليس عجيبًا .. فلقد كان من حقك أن تحصل على رغبة أخيرة .

ونفث دُخان سيجارته ، مستطردًا :

ـ قبل إعدامك .

اتسعت عينا (عصام) فى ذُعر ، وخاصةً عندما ارتفع صوت (صفوان) الساخر ، وهو يقول :

ـ سيسعدنى للغاية أن ألعب دور عشماوى أيها الزعيم .

ثم أدار إليه (عصام) فى حركة عنيفة ، وألصق مسدَّسه بجبهته ، وتطلَّع فى سُخرية إلى عينى (عصام) الملتاعتين ، وهو يستطرد :

ـ الآن .

كان مجرَّد التطلّع إلى وجهه الغليظ الملامح ، يعيد إلى (عصام) ذكرى المذبحة ، ويملأ نفسه بالرعب ، وينتزع منها أية رغبة فى المقاومة ؛ لذا فقد تجمَّد (عصام) تمامًا ، وهو يسمع (فؤاد) يقول فى هدوء :

ـ اقتله .

وبابتسامة أشبه بابتسامة غر متوحش مفترس ، جذب (صفوان) إبرة مسدَّسه ، وقال :

ـ على الرحب والسعة يا سيِّدى .

وأصبح الموت فى وجه (عصام) تمامًا ..

* * *

٩ ــ الهجـوم ..

كان الموت على قيد خطوة واحدة ..

وضغطة زناد واحدة ..

ولكن الرصاصة لم تنطلق ..

لقد انطلقت بدلًا منها صيحة مذعورة ، تهتف :

ــ رجال خفر السواحل يحيطون بالجزيرة أيها الزعيم .

أطلَ غضب شيطانى من عينى (صفوان) ، وهو يصرخ :

ــ لقد أخبرتهم بموقعنا أيها الصحفى الحقير .

صاح (فؤاد) فى توتُّر :

ــ كان ينبغى أن نتوقَّع ذلك .

صرخ (صفوان) فى شراسة :

ــ سأقتله .

هتف (فؤاد) ، وهو يمسك معصمه فى قوة :

ــ كلَّا .

صاح (صفوان) :

ــ لقد حطَّم كل ما بنيناه ، وأوصل الشرطة لوكرنا .

هتف (فؤاد) فى غضب :

ــ لذا فهو يستحق أن يموت معهم .

سأله (صفوان) فى توتُّر :

ــ ماذا تعنى أيها الزعيم ؟

أشار (فؤاد) إلى إطار بارز فى حجرته ، وهو يقول :

ــ لقد كنت أتوقَّع مثل هذا اليوم ، وأعددت العُدَّة له ..

هذا الإطار يحوى زرًّا واحدًا ، يُشعل فتيل ألفى قنبلة ، موزَّعة بانتظام فى أرجاء الوكر ، بحيث تنفجر تلك القنابل كلها ، وتنسف الجزيرة ، وتحوِّلها إلى فتات ، بعد نصف ساعة فقط ، من الضغط على هذا الزر ، ومن المستحيل إيقاف ذلك ، ما لم يتمَّ انتزاع السلك الرئيسى من داخل الإطار .

ثم أشار إلى (عصام) ، مستطردًا :

ــ وسيبقى الصحفى ، ليشارك رجال الشرطة هذا المصير .

شحب وجه (عصام) ، و (صفوان) يقول فى تلذُّذ :

ــ نهاية رائعة أيها الزعيم .

ابتسم (فؤاد) فى فخر ، ونفث دُخَان سيجارته مرَّة أخرى ، قائلًا :

ـ ينبغى أن نعلم أوَّلًا ، متى يقتحم رجال الشرطة الوكر .

ضغط زرًا صغيرًا إلى جواره ، وقال :

ـ ما الموقف حول الجزيرة ؟

أجابه صوت ، عَبْرَ جهاز اتصال داخلى ، يقول :

ـ هناك عدد من الضفادع البشرية ، يقتربون من مدخل الغوَّاصة ، وعشرة من زوارق خفر السواحل ترسو على شاطئ الجزيرة الغربى ، ومئات من رجال الشرطة ، يهبطون على سطحها ، بوساطة طائرات الهليوكوبتر ، وعلى رأسهم رئيس مكتب مكافحة التجسس ، العقيد (عادل محمود) .

ارتجف قلب (عصام) فى قوة ، عندما سمع اسم (عادل) ، وتضاعفت ارتجافته ، عندما دفعه (صفوان) أمامه ، قائلًا فى خشونة :

ـ هيَّا بنا .

دفعه إلى ركن حجرة الزعيم ، الذى ضغط الزر القاتل ، وقال فى سرعة :

ـ هيَّا يا (صفوان) .. أمامك نصف ساعة لتلحق بى .

ابتسم (صفوان) فى شراسة ، وهو يقول :

ـ إنها تكفى أيها الزعيم .

غادر (فؤاد) المكان فى خطوات سريعة ، والتفت (صفوان) إلى (عصام) ، الذى عاوده ذلك الخوف المرضى من (صفوان) ، وهذا الأخير يقول :

ـ كنت أحبّ أن أطلق النار عليك أيها الصحفى ، ولكن يَرُوق لى أن ترتجف ، وتشعر بِدُنُوِّ الموت منك ، لحظة لحظة .

كان يتحدَّث كوحش كاسر ، اعتاد سفك الدماء ، ويتلذَّذ بها ، ودفع (عصام) إلى ركن الحجرة ، مستطردًا :

ـ سأقيِّدك هنا ، وستبقى لترتجف ، وأنت تتطلَّع إلى زر التفجير ، حتى تنفجر الجزيرة كلها ، وتتحوَّل معها إلى فتات .

وأطلق ضحكة شيطانية ، مستطردًا :

ـ وداعًا أيها الصحفى .. وداعًا ..

وعاد يطلق ضحكته المخيفة ، مردفًا .

ـ ستكون بطل هذه المذبحة الجديدة ..

ومرَّة ثالثة ، انطلقت ضحكة شيطانية مخيفة ..

* * *

صعد (فؤاد) بغوّاصته الصغيرة إلى زورق خاص ، يختفى فى كهف بحرى سرى ، فى طرف جزيرة (شدوان) ، وقفز إلى الزورق ، وأدار محرّكه ، وهو يغمغم :

ــ اللّعنة !! لقد هدم ذلك الصحفى كل شىء .. لقد أفسد كفاح عمر كامل .

انطلق بالزورق فى هدوء ، محاذرًا أن يصدر صوتًا عاليًا ، وهو ينزلق بالزورق مبتعدًا عن الجزيرة ، ومتجهًا نحو ساحل (الغردقة) .

ومن بعيد ، لمح (عادل) الزورق ، فهتف فى لهفة :

ــ هناك رجل يبتعد بزورق بخارى .

هتف أحد زملائه فى توتُّر :

ــ ينبغى أن نبلغ رجال خفر السواحل ، أو ....

قاطعه (عادل) فى حزم :

ــ كلّا .. إنه لم يبتعد بما فيه الكفاية .

وقبل أن يدرك أى من زملائه ما الذى يعنيه ، كان ينطلق نحو تلك الزاوية ، التى ينزلق منها الزورق البخارى ، فصاح به أحد زملائه فى هَلَع :

ــ ماذا تنوى أن تفعل ؟

صعد (فؤاد) بغوّاصته الصغيرة إلى زورق خاص ، يختفى فى كهف

وبعد لحظة واحدة من سؤاله ، كان قد أدرك الجواب ..

لقد قفز (عادل) ..

قفز قفزة هائلة ، انتزعته من الجزيرة ، وأطلقته كصاروخ موجّه نحو الزورق البخارى ..

نحو زعيم الثعالب ..

* * *

عشرات الأفكار دارت فى رأس (عصام) ، فى تلك اللحظة ، التى حمل فيها (صفوان) القيد الحديدى ، ليقيّده فى ركن الحجرة ..

لقد تذكّر مذبحة الجزيرة الأولى ..

تذكّر أشلاء الضحايا ..

بحيرة الدماء ..

رصاصات (صفوان) ورجاله ..

ثم تذكّر (عادل) ..

تذكّر كلماته عن (صفوان) ..

وصداقته ..

تذكّر أن مذبحة جديدة فى طريقها إلى الحدوث ..

وتركّز بصر (عصام) على وجه (صفوان) ..

على ملامحه الغليظة ، القاسية ..

وفجأة تفجّرت كل مشاعر (عصام) :

تفجّرت مع صوت (صفوان) ، وهو يقول :

ـ ستحوز شهرة واسعة ، هذه المرة أيضًا أيها الصحفى .. أراهنك أنهم سيحيطون نعيك بإطار أسود خاص ، و ...

قاطعه (عصام) فى غضب :

ـ هذا أفضل من نعيك ، الذى سيلقونه فى صندوق المهملات أيها الحقير .

وقبل أن يفيق (صفوان) من دهشته ، كانت قبضة (عصام) تهوى على فكه كالقنبلة ..

لقد انتصر على خوفه المرضى ..

وعلى تابع زعيم الثعالب ..

* * *

كانت مفاجأة مذهلة لـ (فؤاد) ، عندما هبط (عادل) داخل الزورق ، الذى تأرجح فى قوة ، وارتجّ مع صوت (عادل) ، وهو يهتف :

ـــ انتهى الأمر يا زعيم الأوغاد .. لقد وقعت .

أسرع (فؤاد) ينتزع من جيبه مسدَّسًا ، وهو يصرخ :

ـــ مُحال أيها العقيد .

انطلقت من مسدسه رصاصة ، إلا أنها ضاعت فى الهواء ، عندما أمسكت قبضة (عادل) بمعصمه ، ورفعت يده إلى أعلى ، وانهالت قبضته على فكه ، وهو يهتف :

ـــ أى مُحال أيها الوغد ؟

وأتبع لكمته بأخرى فى معدة (فؤاد) ، متابعًا :

ـــ المحال هو أن تفرَّ بفعلتك الحقيرة .

دفعه (فؤاد) بقبضته فى صدره ، وهو يهتف :

ـــ ابتعد .. إنك لن تهزم الزعيم أبدًا .

تفادَى (عادل) لكمة قوية من (فؤاد) ، وكال له لكمتين متتاليتين فى فكه وأنفه ، وهو يقول :

ـــ سنرى .

سقط (فؤاد) أرضًا ، وقبل أن ينهض واقفًا ، كان (عادل) يدير ذراعه خلف ظهره ، ويحيط معصميه بالأغلال ، قائلًا فى سُخرية :

ـــ ماذا كنت تقول عن هزيمتك ؟

صرخ (فؤاد) فى هياج :

ـــ أقول إنك لن تهزم الزعيم أبدًا .. لقد لغَمت الجزيرة ، وستنفجر كلها بعد خمس دقائق على الأكثر .. لن تجد الوقت الكافى لإبعاد الجميع .

وأطلق ضحكة جنونية شيطانية ، أضيفت إلى وجه (عادل) الممتقع ، قبل أن يستطرد :

ـــ ألم أقل لك ؟.. إننى المنتصر دَوْمًا .. دَوْمًا ..

اتسعت عينا (عادل) فى ارتياع ، وهو يحدِّق فى الجزيرة ، مغمغمًا فى هلع :

ـــ يا إلهى !!.. إنها مذبحة جديدة .. مذبحة دموية ..

* * *

١٠ ــ البطــل ..

هوت لكمة (عصام) على وجه (صفوان) كالقنبلة ، فتراجع هذا الأخير من فرط الدهشة وقوة اللكمة ، واتسعت عيناه فى ذهول ، وهو يحدِّق فى وجه (عصام) ، قبل أن تنقلب سحنته ، ويصرخ فى ثورة :

ــ كيف تجرؤ ؟.. كيف تجرؤ أيها الصحفى الحقير ؟

لم تهتز شعرة واحدة فى جسد (عصام) هذه المرَّة ..

لقد هزم خوفه ..

لم يعد (صفوان) بالنسبة إليه أكثر من قاتل ..

قاتل حقير ..

وفى هدوء ، رفع (عصام) قبضته فى وجه (صفوان) ، وقال فى حزم :

ــ إنك لن تخيفنى هذه المرَّة أيها الحقير .

صاح (صفوان) فى ثورة :

ــ أخيفك ؟! .. لن أخيفك أيها الصحفى .

وبدا أشبه بشيطان مريد ، وهو يستطرد :

ــ بل سأقتلك .

وبحركة حادة ، مزَّق قميصه ، فالتمعت عضلاته البارزة ، وهو يتجه نحو (عصام) ، الذى تراجع فى بطء ، وهو يشير إلى زر الموت ، قائلًا :

ــ حذار أيها الخنزير .. ينبغى لك أن تفرَّ فى سرعة ، وإلا انفجرت بك الجزيرة أيضًا .

زمجر (صفوان) فى شراسة ، وهو يقول :

ــ اطمئن .. سأقتلك أوَّلًا ، ثم أجد بعدها الوقت الكافى لمغادرة الجزيرة ، قبل الانفجار .

وفجأة هوى على فك (عصام) بلكمة صاعقة ، هاتفًا :

ــ المهم أن أقتلك أوَّلًا .

تفادَى (عصام) اللكمة فى براعة ، وهَوَى بقبضته على فك (صفوان) ، هاتفًا :

ــ صدقت .. المهم أن تقتلنى .

تلقَى (صفوان) اللكمة ، وتراجع فى قوة ، ثم عاد يعتدل ، وتألَّقت عيناه ببريق شرس ، انعكس على ابتسامته الوحشية ، وهو يقول :

ــ لكمتك لا تساوى شيئًا أيها الحقير .. إنها لا تساوى حتى لكمة طفل .

كان هذا واضحًا ، حتى أن (عصام) قد تراجع فى توتُّر ، هاتفًا :

ـــ أسرع أيها الحقير .. ستنفجر الجزيرة بنا معًا .

صرخ (صفوان) فى جُنون :

ـــ فليذهب كل شىء إلى الجحيم .. المهم أن أقتلك .

وانطلقت من بين شفتيه صرخة قتالية مخيفة ، وهو يقفز نحو (عصام) ، ويركله بقدمه فى وجهه ، فيلقيه أرضًا ..

ومرّة أخرى ركله فى معدته ، ثم لكمه فى فكه ، صارخًا :

ـــ سأقتلك .. سأقتلك أوّلًا .

تفادى (عصام) لكمته التالية فى حركة رشيقة ، وقفز جانبًا ، ثم دفع جسده خلف (صفوان) ، وضمّ قبضتيه ، وهو يصرخ :

ـــ حتى الثيران لها نقاط ضعف أيها الوغد .

وبكل ما يملك من قوة ، هَوَى بقبضتيه المضمومتين على مؤخرة عنق (صفوان) ، وخُيِّل إليه أن عبارته دقيقة للغاية ، عندما سمع هذا الأخير يخور كالثور ، ثم ينهض مترنّحًا ..

ومرَّة أخرى هَوَت قبضتا (عصام) على مؤخرة عنق (صفوان) ، و ....

وسقط الثور فاقد الوعى ..

وفى دهشة تراجع (عصام) ..

تراجع وهو يحدّق فى جثمان (صفوان) فى ذُهُول ..

لقد انتصر ..

لقد هزم كل مخاوفه ..

لقد هزم السفاح ..

وفجأة نفض عنه كل ذُهوله ، وأدار عينيه فى ذُعر نحو زرّ الموت ..

لم يعد أمامه سوى خمس دقائق ..

خمس دقائق فحسب ، وينتهى كل شىء ..

وتذكّر فجأة حديث (فؤاد) ..

لابدَّ من فصل السلك الرئيسى داخل الإطار .

لابدَّ ..

لابدَّ ..

لابدَّ ..

* * *

شعر (عادل) بالهلع ، عندما سمع عبارة (فؤاد) ، ولم يتمالك نفسه ، فصفعه فى قوة ، هاتفًا :

ـــ أيها الحقير .

ثم قفز إلى عجلة قيادة الزورق البخارى ، وأدارها فى عنف ، فاستدار الزورق كله ، وعاد ينطلق صوب الجزيرة ، و (عادل) يصرخ :

ـــ غادروا الجزيرة بأقصى سرعة .. هيَّا .

صاح به رجاله فى توتُّر :

ـــ ماذا حدث ؟

صرخ فى توتُّر :

ـــ ستنفجر الجزيرة كلها ، فى غضون خمس دقائق .. غادروها بأقصى سرعة .. هيَّا .

أسرع الجميع يندفعون نحو الطائرات ، و (عادل) يواصل صياحه ، هاتفًا :

ـــ فليتصل أحدُكم بالقاعدة العسكرية ، على الجانب الآخر من الجزيرة ، ويطلب منهم إخلاء القاعدة على الفور .

هتف أحد الرجال :

ـــ هذا مستحيل يا سيِّدى .. لم يعد أمامنا سوى ثلاث دقائق فقط .

اتسعت عينا (عادل) فى ذُعر ، ورفع ساعته إلى عينيه ، وهتف فى هلع وارتياع :

ـــ ثلاث دقائق .. يا إلهى !!.. لقد انتهينا .. لقد انتهى كل شىء .

* * *

باق من الزمن ثلاث دقائق فحسب ..

و (عصام) يبذل أقصى جهده ؛ لانتزاع الإطار ..

واحتقن وجهه ، وهو ينتزعه بأقصى ما يمكنه من قوة .

وانتزعه ..

كان يتصوَّر أن انتزاعه يُنهى كل شىء ، وأنه ليس أمامه سوى أن ينتزع السلك الرئيسى ، و ...

ولكن أين هو السلك الرئيسى ؟..

إن أمامه عشرات الأسلاك ..

قد يكون السلك الرئيسى هو هذا ..

أو هذا ..

أو ذاك ..

فليقطع أى سلك إذن .

ولكن كلَّا ..

الله وحده يعلم ماذا يمكن أن يحدث .. لو قطع سلكًا خطأً ..

وتوترت أعصاب (عصام) فى شدة ..

لم يعد أمامه سوى دقيقتين ..

وبسرعة حاول أن يسترجع كل معلوماته ، عن الدوائر الكهربية ، فلقد صار من المحتم أن يبحث عن السلك الرئيسى ، بمراجعة الدائرة كلها ..

ولكن هل يكفيه الوقت لذلك ؟

فليتجاهل مرور الوقت تمامًا ، وليبذل أقصى جهده ، للعثور على السلك الرئيسى بأقصى سرعة ..

أمامه دقيقة ونصف فقط ..

المهم أن يحاول ..

نعم ..

أن يحاول ..

* * *

ابتعدت زوارق خفر السواحل عن الشاطئ بسرعة ، وارتفعت طائرات الهليوكوبتر فى توتُّر ، وبدا واضحًا أن القاعدة العسكرية قد أعلنت حالة الطوارئ ، على الشاطئ الشرقى ، وغمغم (عادل) فى مرارة :

ــ هل ستترك (عصام) ؟.. إنه هنا .. فى قلب الجزيرة .

أجابه أحد رفاقه فى توتُّر :

ــ لن يمكننا استعادته أبدًا ، فلم يعد أمامنا سوى دقيقة واحدة ، وبعدها تنفجر الجزيرة .

استدار (عادل) فى غضب هائل إلى (فؤاد) ، وصاح به :

ــ أيها الوغد الحقير .. أقسم لك إننى لن أشعر بالندم ، عندما ألقى بك من الهليوكوبتر ، لتشارك الجزيرة مصيرها .

أجابه (فؤاد) فى تبجح :

ــ افعل إذن ، وستقضى النصف الباقى من عمرك فى السجن ، بتهمة القتل العمد .

انتزعه (عادل) من سترته فجأة ، وهو يقول فى غضب :

ــ فليكن .. إنها مقايضة مقبولة .

ودفعه نحو باب الهليوكوبتر ، فصرخ (فؤاد) فى رعب :

ــ إنك لن تلقينى .. لن تجرؤ .

صاح به (عادل) فى صرامة :

ــ هكذا ؟!.. من سيمنعنى إذن ؟

هتف (فؤاد) فى ذُعر :

ــ رفاقك .. إنهم رجال قانون .. أليس كذلك ؟

التفت (عادل) إلى رفاقه ، وقال :

ــ من منكم يعترض على قتل الرجل ، الذى غمر وطنكم بسمومه ، وقتل رفاقكم فى مذبحة رهيبة ؟

لم يعترض أحدهم بكلمة واحدة ، على حين ابتسم ضابط برتبة نقيب ، وهو يقول فى خُبث :

ــ أى رجل ؟.. إن الهليوكوبتر لم تحمل سوانا .

التفت (عادل) إلى (فؤاد) ، وقال فى صرامة :

ـــ هل سمعت يا رجل ؟.. لن يدينني أحد بتهمة القتل ، لأنك لم تكن معنا .. لقد هربت ، وتركناك على الجزيرة .. هذا ما سيشهد به الجميع .

امتقع وجه (فؤاد) ، وهو يهتف :

ـــ كلَّا .. إنك لن تقتلنى على هذا النحو .. لن تفعل .

أجابه (عادل) فى صرامة :

ـــ بل سأفعل أيها الحقير .. فى نفس اللحظة التى تنفجر فيها الجزيرة ، سألقى بك من الهليوكوبتر ، حتى تصعد روحك مع أرواح ضحاياك ، فيقتصون منك ، قبل أن تفترقوا ، فيذهبوا إلى جنة الشهداء ، وتُلقى فى جحيم الأشقياء .

وتطلَّع إلى ساعته ، مستطردًا :

ـــ لقد بقيت لك ربع دقيقة .. ربع دقيقة فحسب .

* * *

راح (عصام) يراجع الدائرة الكهربية فى سرعة ، وقلبه ينبض فى عنف وقسوة ، وعيناه تتابعان مرور الوقت فى توتر ..

بقيت أمامه عشر ثوان ..

تسع ..

ثمان ..

سبع ..

ست ..

خمس ثوان ..

وراحت يداه تعملان فى سرعة جنونية ، وهو يغمغم :

ـــ عزاؤك الوحيد هو أنك ستموت كبطل يا (عصام) .. أليس كذلك ؟

خُيِّل إليه أن يديه قد توصلتا إلى السلك الرئيسى ، والوقت يمضى فى سرعة خرافية ..

أربع ثوان ..

ثلاث ..

اثنتان ..

واحدة ..

و ....

وانتزع السلك ..

وتجمدت الدماء فى عروقه ، وعقرب الثوانى يقفز قفزته التالية ، ثم لم يلبث أن تنهَّد فى ارتياح غامر ، عندما تعاقبت الثوانى فر رتابه وهدوء .

لقد انتصر ..

لقد أصبح بطلًا ..

* * *

١١ ــ الختــام ..

رَانَ صمت تام على قاعة الاحتفــالات ، فى فنــدق (شيراتون) الجزيرة ، واحتبست أنفاس الجميع ، وهم يتابعون ببصرهم وزير الداخلية المصرى ، الذى راح يصعد إلى المسرح فى هدوء ، ويتجه إلى منصة خاصة ، فيقف خلفها ، ويُخرج منظاره من جيبه ، فيضعه فوق أنفه ، ثم يفرد ورقة مطوية ، ويتنحنح فى هدوء ، قبل أن يقول :

ــ الإخوة الزملاء والأبناء ضباط الشرطة .. إننا هنا اليوم لنحتفل ببطل .. وفى هذه المرة يبدو احتفالنا متميزًا ؛ لأن هذا البطل لاينتمى إلى صفوفنا رسميًا ، ولكنه ينتمى إلينا قلبًا وقالبًا ، فهو مثلنا ، مكافح للجريمة لايشقّ له غبار .. وهذا البطل قد أنقذ العشرات من رجالنا ، وخاطر بحياته ليضمن لهم الحياة ، إنه الصحفى المعروف ، والبطل المغوار الأستاذ (عصام كامل) ..

دوت القاعة بتصفيق حاد ، التهبت له أكف الحاضرين ، وخاصة ضيفى الشرف (عماد) و (عُلا) ، وبكت (نهلة) ،

خطيبة (عصام) فى سعادة جمة ، على حين اكتفى (عادل محمود) بابتسامة رصينة ، وعينين اغرورقتا بدموع حبيسة ، جاهد ليكبتها حفاظًا على هيبته وصرامته ..

وصعد (عصام) إلى المسرح ، وخفض عينيه فى حياء ، وهو يتلقى تحيات الجميع ، على حين ربَت وزير الداخلية على كتفه ، مستطردًا فى اعتزاز :

ــ ولأوّل مرة ، وبقرار خاص من السيِّد رئيس الجمهورية ، تمنح وزارة الداخلية لمدنى رتبة شرفية .

عادت أكف الحاضرين تلتهب فى حرارة ، ووزير الداخلية يضع على كتفى (عصام) شريطتين ، تحملان رتبة رائد ، وهو يقول مبتسمًا :

ــ منذ هذه اللحظة ، أنت واحد منا .

تصافحا فى حرارة ، و (عصام) يغمغم فى سعادة :

ــ شكرًا لك يا سيِّدى .. شكرًا لك .

دفعه وزير الداخلية فى رفق نحو الميكروفون ، فارتبك لحظات ، ثم أمسك به ، وقال :

ــ من المستحيل أن أشرح لكم مدى سعادتى الآن ، وأنا أحصل على هذه المكافأة .. ليس لأنها مكافأة ، ولكن ..

صمت لحظة ، سيطر خلالها الصمت على المكان كله ، والجميع يتجهون بأبصارهم إليه ، على حين يدير هو عينيه بين وجوه (عماد) ، و (غلا) ، و (عادل محمود) ، قبل أن يقول :

ـــ ربما لا يقدّر الجميع ما أعنيه ، ولكن هناك ثلاثة على الأقل يفهمونني ، ويقدرون شعوري ..

واعتدل في اعتزاز ، مستطردًا :

ـــ إنها أوّل مرة أستحق الجائزة عن جدارة .

ثم اتسعت ابتسامته ، وهو يردف في سعادة :

ـــ وفي هذه المرة أيضًا يعود الفضل إلى الفريق .. فريق (ع × ٢) ..

ومرّة أخرى ، دَوَّت القاعة بعاصفة من التصفيق لـ (عصام) ..

للبطل ..

* * *

[تمت بحمد الله]

رقم الإيداع/ ٣٥٤١

٩٧١٩

مغامرات ع × ٢

سلسلة الفانتازية مثيرة للأعصاب تنشط العقل وتنمي الفكر والذكاء..

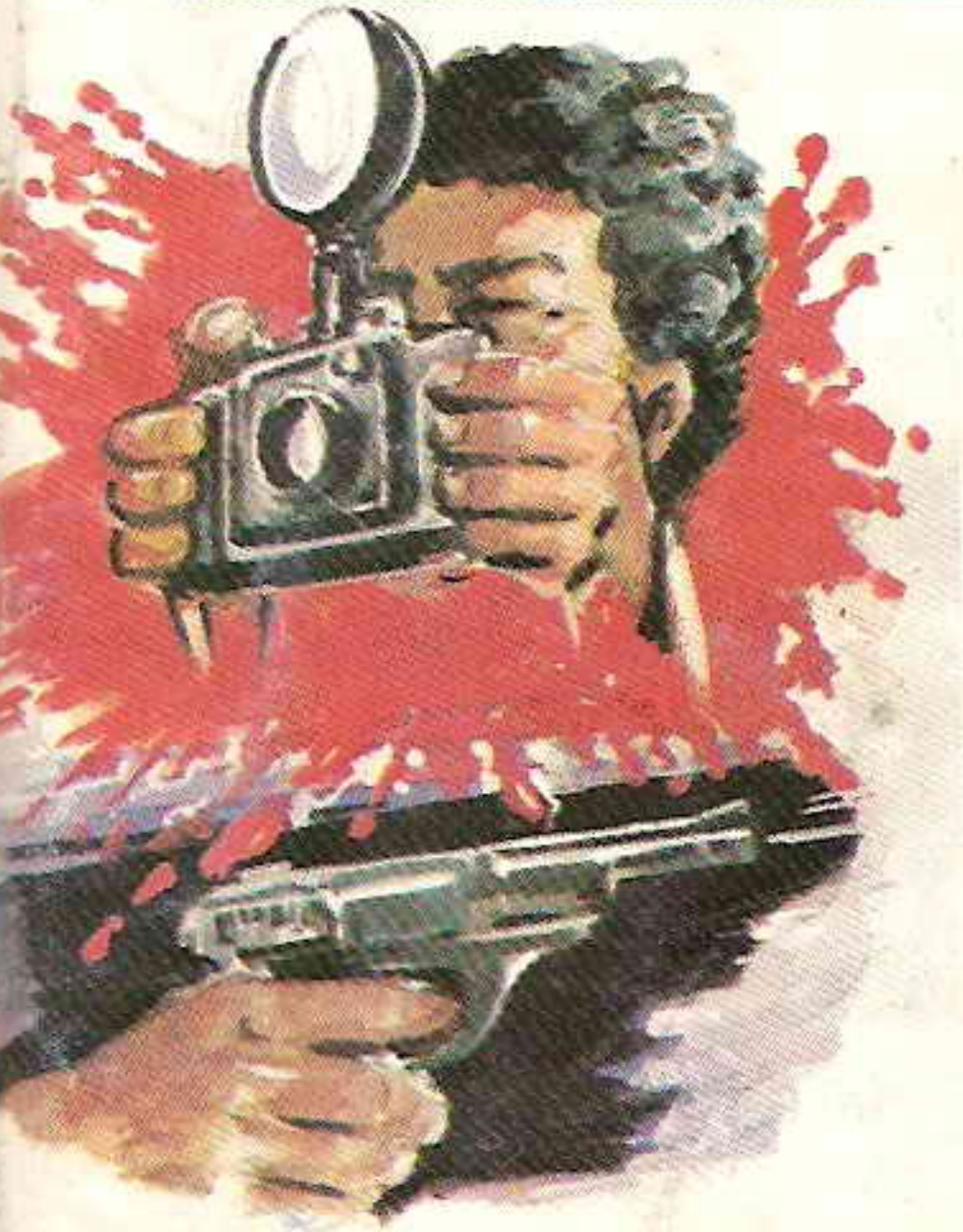

المؤلف

د. نبيل فاروق

قضية زعيم الثعالب

- وقع (عصام) فى قبضة أخطر منظمة لترويج المخدرات، فى العالم العربى، ولكن عقله ظل مشغولاً بسؤال واحد.. من هو زعيم هؤلاء الثعالب؟.. من؟..
- ترى ماذا يفعل (عصام) و(عادل)، إزاء هذا اللغز؟
- اقرأ التفاصيل المثيرة، وقاتل مع فريق (ع×٢) الجديد، لكشف القناع عن (زعيم الثعالب)..

العدد القادم

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
١٠ شارع سلك بالعباسية - القاهرة ت ٦٠٨٤٥٥

الثمن فى مصر ١٠٠ قرش
وما يعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم